الهجرة والجهاد

آية الله الشهيد مرتضى مطهري



معاونية الرئاسة للعلاقات الدولية

في منظمة الاعلام الاسلامي

٢٥٨

الهجرة والجهاد

آية الله الشهيد مرتضى مطهري



منظمة الاعلام الاسلامي

٢٥٨



هجـــرت و جهـــا د



الكتاب: الهجرة والجهاد.
المؤلف: الشهيد مرتضى مطهري.
المترجم: محمد جعفر باقري.
الناشر: معاونية العلاقات الدولية في منظمة الاعلام الاسلامي
الجمهورية الاسلامية في ايران/طهران ــ ص.ب ١٣١٣/١٤١٥٥.
التاريخ: الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م.
المطبعة: سپهر ــ طهران
طبع منه: ٥٠٠٠ نسخة.



تمهيد

الكتاب الذي بين يديك ــ أخي القارئ ــ هو تقرير من محاضرات المفكر الاسلامي الكبير آية الله الأستاذ الشهيد مرتضى مطهري، ألقاها في أحد مساجد العاصمة الايرانية طهران، عام ١٣٥٤ هـ .ش (١٩٧٥م) أي قبل ثلاثة أعوام تقريبا من انتصار الثورة الاسلامية، وفي قمة تصاعد الإرهاب الشاهنشاهي الذي كان يخنق ايران في ذلك الوقت. والموضوع الذي تناوله الأستاذ الشيخ في هذه المحاضرات الثلاث هو بحث مفهومي الهجرة والجهاد في الاسلام، وقد ارتكز منهجه في البحث على الخطوط العريضة التالية:

١ــ بيان المفهومين وبحث أهمية دورهما ضمن أحكام الاسلام، وتوضيح التفسير المعنوي لهما.

٢ــ طرح العديد من المصاديق العملية لهما، وتوضيح الشروط الموضوعية التي يفرض الاسلام على اتباعه الهجرة والجهاد عند تحققهما.

٣ــ مواجهة الشبهات التي طرحت على كلا الموضوعين. وقد ركز الباحث بصورة خاصة على مواجهة محاولة الغاء الهجرة والجهاد بالمعنى الشرعي الأصلي، عبر التذرع بالتفسير المعنوي لهما، وهذه هي من أبرز حجج تيار الانعزال عن العمل الاجتماعي الذي يبرر تقاعسه وانعزاله بطرح التفسير المعنوي للهجرة والجهاد.

٤ـ كما طرح الأستاذ الشهيد حكم الهجرة، كرد شرعي على ما يتحجج به الكثير لتبرير انحرافاتهم عن الاسلام بالاستناد الى عذر «الظروف القاهرة للمحيط المعاش».

وقد عمدنا الى ترجمة هذه المحاضرات لأنا (حسب اطلاعنا) لم نجد في المكتبة الاسلامية العربية كتابا يبحث في هذا الموضوع بصورة مستقلة، ويقرن الهجرة بالجهاد ويطرحهما معا انتهاجا للمنطق القرآني الذي يذكرهما معا في أكثر الموارد، كما ان البحث يوضح جيداً، الحكم الشرعي الثابت تجاههما وخاصة تجاه حكم الهجرة، وهذا موضوع شرعي مهم للغاية، وذو أثر تربوي كبير، ولكن قلما تناوله الباحثون.

واضافة الى أهمية الموضوع ومكانة الباحث العلمية فقد شجعنا على ترجمة هذا الكتاب الأسلوب الواضح الذي اعتمده الأستاذ الشهيد في بحثه، وهو أسلوب طرح المفهوم الاسلامي من خلال الواقع العملي، وهذا الأسلوب من الناحية التربوية أجدى نفعاً من منهج التجريد النظري الأكاديمي، بل ان هذا الأسلوب هو ما اعتمده القرآن الكريم في طرحه التربوي.

وفيما يتعلق بالترجمة ذاتها نلفت انتباه القارئ الكريم الى النقاط التالية:

١ـ اننا حرصنا على الالتزام بنقل النص حرفياً الى العربية ما استطعنا الى ذلك سبيلا ولم نتدخل في النص أصلاً، اللّهم إلاّ فيما يتعلق بربط الجمل وصياغتها وفقاً لطبيعة اللغة العربية.

٢ـ قد يجد القارئ أحيانا تكراراً لبعض النقاط الرئيسة في هذه المحاضرات، وهذا طبيعي اذا لاحظنا مقتضيات المنهج العام للمحاضرة، وقد فكرنا بادئ ذي بدء، في حذف المكررات إلاّ أنّا عدلنا عن ذلك، بعد ان وجدناه يؤثر سلبيا على وضوح الأفكار المطروحة، بل ولاحظنا ان الشيخ الأستاذ عندما يكرر بعض النقاط في أكثر من مكان، يخرج عادة إمّا بنتائج أكثر عمقاً واتساعاً مما سبق له الخروج به أولا، وإمّا بنتائج جديدة أصلاً.

٣ـ والشيخ الأستاذ يختم كل محاضرة، على طريقة المجالس الحسينية بذكر طرف من واقعة الطف وما تجلى فيها من أسمى صور البطولة والفداء و الإباء، وقد آثرنا إبقاءها لما فيها من فائدة تربوية كبرى وعبر عظيمة، وجدير بالذكر أن مجالس الحسين(ع) كانت ولازالت أهم عوامل الانتصارات التي حققتها وتحققها الثورة الاسلامية في ايران.

المحاضرة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين بارئ الخلائق أجمعين والصلاة والسلام على عبدالله ورسوله وحبيبه وصفيه و حافظ سره ومبلغ رسالا ته سيدنا ونبينا أبي القاسم محمد(ص) وعلى آله الطيبين الطاهرين المعصومين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم «ومن يخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفوراً»(النساء: ١٠٠).

الهجرة والجهاد هما الركنان الأساسيان اللذان يستند اليهما الاسلام من الناحية الاجتماعية، وقد حرص القرآن الكريم على احاطتهما بقدسية خاصة كلما تحدَّث عنهما، كما انه عظّم وقدّس درجة المهاجرين والمجاهدين أكبر تعظيم وتقديس.

الهجرة تعني التخلي عن البيت والأهل والوطن، والابتعاد عنها والتوجه الى ديار الايمان حفظا للدين من الضياع. وفي الكثير من الآيات القرآنية نرى كلمتي الهجرة والجهاد قد ذكرتا معا «والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا» (الأنفال: ٧٤).

في الصدر الأول للاسلام، كان المسلمون ينقسمون الى قسمين هما: المهاجرون والأنصار، فالأنصار هم سكان المدينة ــ يثرب ــ الذين آووا ونصروا، والمهاجرون هم الذين هجروا ديارهم وقدموا الى المدينة انقاذاً لدينهم.

والهجرة هي كالجهاد، حكم غير ثابت في الشرع الاسلامى ولكنه من

أركانه الأساسية وأحكامه الحية، بمعنى ان من المحتمل ان تطرأ ظروف تصبح معها الهجرة واجباً شرعياً وفرضاً يجب على المسلم أداؤه.

ودفعا لوقوع بعض الاشتباهات والتناقضات في فهم حكمي الجهاد والهجرة، نتعرض هنا لبحث هذا الموضوع بشي ء من التفصيل.

لقد ورد للهجرة وكذلك للجهاد تفسير آخر غير ما تقدم، فقد فسرت الهجرة بهجر المعاصي والذنوب و الابتعاد عنها. اذن فـ «المهاجر من هجر السيئات».

فما هو نصيب هذا التفسير من الصحة ياترى؟! وهل ان من تلوثت نفسه بالذنوب ثم تاب وأصلح واغتسل بماء التوبة المطهر سيصبح بذلك مهاجراً لانه هجر الذنوب وابتعد عنها؟! لو أخذنا بهذا التفسير لأصبح جميع التائبين في العالم مهاجرين، لأنهم هجروا الذنوب والمعاصي ونأوا عنها، أمثال فضيل بن عياض وبشر الحافي وغيرهما كثير.

فضيل بن عياض كان في بداية أمره سارقاً، ثم تغيرت حاله، فهجر جميع الذنوب وتاب الى الله توبة نصوحاً، وأصبح بعدها من العظماء، فهو لم يتحول الى رجل متق وحسب، بل أصبح أيضا معلماً ومربياً للعديد من الناس، في حين كان في مطلع حياته لصاً وقاطع طريق وشرساً ومؤذياً حتى ضج الناس منه ومن شره وأذاه، فضيل بن عياض هذا كان يهم مرة كعادته بسرقة بيت، وعندما تسلق الجدار وهمّ بالنزول الى داخل البيت رأى رجلاً زاهداً عابداً يقوم الليل، يصلي صلا ته ويدعو ويقرأ القرآن، فسمع فضيل الرجل وهو يقرأ القرآن بصوت خاشع حزين، و كان أول ما طرق سمعه من قراءة الرجل هو قوله تعالى: «ألم يأنِ للّذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله» (الحديد: ١٦).

فضيل الذي سمع هذه الآية وهو فوق الجدار، أحس وكأن الآية أوحيت اليه هو، تخاطبه هو، فالآية قد هزته بعنف، حتى قال: «.. اللّهم بلى .. اللّهم بلى ... لقد آن الأوان، و هذا هو»،فنزل من الجدار، وهجر منذ ذلك الحين كل الذنوب، فلا سرقة بعدها، ولا خمر ولا ميسر ولا ولا غيرها من باقي الذنوب التي كان مبتلى بها، ابتعد عنها بكل جهده... أرجع الحقوق التي كان قد اغتصبها الى أصحابها، وأدى ما عليه من حقوق الله، وجبر ما كان قد فات منه.

اذن .. ففضيل هذا مهاجر أيضا لأنه هجر السيئات وابتعد عنها.

وفي عصر الإمام الكاظم(ع) كان في بغداد رجلٌ معروفٌ يقال له بشر، و كان ممن يشار اليه بالبنان، وحدث يوماً أن كان الإمام الكاظم(ع) ماراً من أمام بيت بشر، فاتفق ان فتحت جارية باب الدار لالقاء بعض الفضلات «قمامة» و حين رمت بها في الطريق سألها الإمام(ع) قائلاً: يا جارية! هل صاحب هذه الدار حر أم عبد؟! فأجابته الجارية وهي مستغربة من سؤاله هذا وبشر رجل معروف بين الناس وقالت: بل هو حر. فقال الإمام(ع): صدقت لو كان عبداً لخاف من مولاه.[1] الإمام(ع) قال هذه الكلمة وانصرف، فعادت الجارية الى الدار وكان بشر جالساً الى مائدة الخمر، فسألها: ما الذي أبطأك ؟ فنقلت له ما دار بينها وبين الإمام(ع)، وسمع ما نقلته من قول الإمام(ع): «صدقت، لو كان عبداً لخاف من مولاه» فهزه هزاً عنيفاً أيقظه من غفلته، وأيقظه من نومته نومة الغفلة عن الله، ثم سأل بشر الجارية عن الوجهة التي توجه اليها الإمام، فأخبرته فانطلق يعدو خلفه، حتى انه نسي ان ينتعل حذاءه، في الطريق كان يحدث نفسه بأن هذا الرجل هو الإمام موسى بن جعفر(ع)، وفعلا ذهب الى منزل الإمام، فتاب على يده واعتذر وبكى ثم هوى على يدي وقدمي الإمام يقبلها وهو يقول: سيدي أريد من هذه الساعة ان أصبح عبداً و لكن عبداً لله، لاأريد هذه الحرية المذلة التي تأسر الانسانية فيّ، و تطلق العنان للشهوة الحيوانية، لاأريد حرية السعي وراء الجاه والمنصب، لاأريد حرية الخوض في مستنقع الذنوب و أغدو أسيراً لها، لاأريد ان تؤسر فيّ الفطرة السليمة والعقل السليم، من هذه الساعة أريد ان أصبح عبداً لله ولله وحده، حراً تجاه غيره، و تاب بشر على يد الإمام الكاظم(ع) و منذ تلك اللحظة هجر الذنوب و نأى عنها و أتلف كل وسائل الحرام، وأقبل على الطاعة و العبادة. اذن، بشر هذا هو مهاجر أيضا لان «المهاجر من هجر السيئات».

ولهذا المنحى في تفسير الهجرة، شبيه في باب الجهاد أيضا حيث ان «المجاهد من جاهد نفسه[2]» والمجاهد هو من يجاهد النفس الأمارة بالسوء و أهواءها الداخلية، ومعروف ان الصراع الداخلي موجود باستمرار، قائم بين النفس وأهوائها من جهة والعقل من جهة اخرى.

يقول أميرالمؤمنين الإمام علي(ع): «أشجع الناس من غلب هواه[3]»، والشجاعة الحقيقية توضحها الحادثة التالية التي وقعت في زمن الرسول الأعظم(ص)، الرسول(ص) اذ كان ماراً في احدى طرق المدينة، رأى عدداً من

الفتية يتبارون في رفع صخرة «أيهم يرفع صخرة أكبر مثلاً» النبي الكريم أراد ان يستفيد من هذا الموقف للوعظ والتوجيه، فاقترب من الفتية و قال لهم: «ألا تريدون ان أكون حكماً بينكم أقضي بينكم أيكم الأقوى؟»، فقالوا: بلى يا رسول الله وأيٌّ خيرٌ منك حكماً، فقال(ص): «اذن فاستمعوا لحكمي: لاحاجة بكم الى رفع الصخرة لأحكم في أيكم الأقوى. أقواكم من منع نفسه عن الحرام، و حجزها عن ارتكاب المعاصي وقد مالت اليها، أقواكم من لم تغلبه نفسه وأهواؤها فتوقعه في المعصية». اذن فالمجاهد هو من جاهد نفسه، والشجاع من غلب هواه.

هناك مثال آخر يوضح الشجاعة الحقيقية نستخلصه من القصة المعروفة التي حدثت لـ«پورياي ولي» وقد كان هذا من كبار أبطال المصارعة في العالم، وكان يعتبر نموذجاً للبطولة والرجولة والعرفان في آن واحد، يروى ان هذا البطل كان قد سافر مرة الى احدى المدن للتباري مع بطلها في المصارعة و عُين موعد للمباراة، و ذلك في ليلة الجمعة، وخلال تجواله في تلك المدينة، شاهد «پورياي ولي» امرأة عجوزاً كانت توزع الحلوى على الناس وتطلب منهم الدعاء، ولم تكن تعرف «پورياي ولي» من قبل، فقدمت له الحلوى وسألته الدعاء، ولكنه سألها عن حاجتها ما هي؟ فقالت: «ان ابني هو بطل مدينتنا في المصارعة، وقد جاءنا منافس له من مدينة أخرى لمنازلته، وسيلتقيان خلال الأيام القليلة القادمة، وأنا أخشى ان يخسر ولدي المباراة، فخسارته لا تعني انتكاسة شخصية له وحسب، بل تعني انقطاع مورد رزقنا الوحيد الذي يأتينا من الراتب الذي يقدم لولدي في هذه اللعبة، ولذلك فان فشله في المباراة يعتبر تدميراً لحياتنا، وأنا امرأة عجوز لا أقوى على شيء، عندما سمع پورياي ولي حديث المرأة، قال لها: «اطمئني سأدعو لك» ثم استغرق هذا الرجل في التفكير مع نفسه محدثاً إياها عما سيفعله في المباراة «هل أصرعه اذا كنت أقوى منه أم لا؟» هنا تذكر هذا البطل مقولة ان: «أشجع الناس من غلب هواه» و في اليوم المقرر للمباراة، صعد الى الحلبة فوجد منافسه أضعف منه كثيراً ويستطيع ان يطرحه أرضاً بحركة واحدة، لكنه ومن أجل ان يجعل المباراة تجري وكانها حقيقة ـــ كي لا يفهم المشاهدون القرار الذي اتخذه بعدم التغلب عليه ـــ راح يكثر من الدوران ويطيل المصاولة والمحاولة مع منافسه ثم مكّنه بعد ذلك من ان يصرعه، وهنا يذكرون عن هذا البطل، انه وفي تلك اللحظة التي صرع فيها، أحس وكان قلبه انفتح لله وكأنه يرى بقلبه عالم الملكوت،

هذا الرجل ـــ لأنه جاهد نفسه وانتصر عليها في تلك اللحظة ـــ قد أصبح من أولياء الله، لماذا؟ لأن: «المجاهد من جاهد نفسه» ولأن: «أشجع الناس من غلب هواه» ولانه أظهر شجاعة فاق بها كلّ الأبطال [٤].

وأعظم من هذه الحادثة، قصة الإمام علي(ع) مع عمرو بن عبد ود، هذا البطل الذي كان يوصف بفارس يليل[5]، الفارس الذي يعدل الفاً، في معركة الخندق كان عسكر المسلمين في جهة من الخندق وعسكر العدو في الجهة الثانية منه، بحيث لم يكن باستطاعة العدو ان يعبر الى جهة المسلمين ورغم ذلك فقد تمكن نفر من الكفار ـــ ومن بينهم عمرو بن عبد ود ـــ من عبور الخندق بطريقة، أو بأخرى وأخذ عمرو يجول بفرسه وهو يصرخ: هل من مبارز؟! ... فلم يجرؤ ايّ من المسلمين على الخروج وهم يعرفون من هو عمرو وماذا تعني مبارزته، فقال الرسول(ص): من له؟ فسكت الجميع إلاّ علياً اذ نهض و قال: أنا له يا نبي الله، فقال(ص): انه عمرو اجلس، فنادى عمرو ثانية: ألا من رجل؟ ثم أخذ يؤنبهم ويقول: اين جنتكم التي تزعمون ان من قتل منكم دخلها؟ فلم يجب إلاّ عليّ اذ نهض وقال: أنا له يا رسول الله، فأجابه الرسول بمثل ما أجابه في المرة الأولى، فنادى عمرو ثالثة فلم يجبه أحد أيضا غير الامام علي إذ نهض و قال: يا رسول الله أنا له، فقال(ص): إنه عمرو، فقال(ع) وان كان عَمراً، فاستاذن رسول الله فاذن له وخرج(ع) الى عمرو. وخلاصة الحدث، ان علياً(ع) يطرح بطل الأبطال على الأرض ويجلس على صدره ليحتز رأسه وهنا يبصق عمرو في وجه علي(ع)، فيقوم الامام(ع) من فوق صدره، ويأخذ بالسير بهدوء بالقرب منه و بعد فترة يعود فيجلس مرة أخرى على صدره ويهم بقطع رأسه فيسأله عمرو عن سبب قيامه(ع) أولاً ثم عودته ثانية؟ فماذا كان جواب الامام(ع)؟! لقد غضب الامام عندما بصق اللعين في وجهه الشريف، وهنا تركه خشية من انه ان قتله وهو غاضب فقد يحتمل ان يكون ذلك غضبا لنفسه لا لله، فقام عنه حتى هدأ(ع) وعاد فقتله لله تعالى لا لغيره [٦].

و خلاصة ما تقدم ان المعنى الآخر للهجرة هو ترك الذنوب و المعاصي، والمعنى الآخر للجهاد هو مجاهدة النفس وأهوائها، فهل ـــ ياترى ـــ هذا التفسير صحيح ام لا..؟! الجواب هو انه صحيح بحد ذاته ولكن قد أسيء فهمه وفهم بصورة خاطئة، فقولنا: «المهاجر من هجر السيئات، والمجاهد من جاهد نفسه»

واردتان في أحاديث المعصومين(ع) بل ان النبي الأكرم(ص) يصف جهاد النفس بأنه «الجهاد الأكبر»، لكن الخطأ في الفهم والانحراف في التفسير، قد وقع عندما لجأ البعض الى الغاء المعنى الأول للهجرة والجهاد وذلك باحتجاجهم في ان معنى الهجرة ترك الذنوب وان معنى الجهاد مجاهدة النفس فلاحاجة اذن لأن نترك الأهل والديار عند اقتضاء الضرورة، ونتغرب في البلدان، بل بدلاً من ذلك نجلس في بيوتنا ونهجر الذنوب فنصبح بذلك مهاجرين، ويقول البعض الآخر: انه مادام الجهاد هو مجاهدة النفس، اذن فلا ضرورة للسير الى محاربة اعداء الاسلام، وبدلا من ان نتحمل مصاعبَ ذلك، نجلس في بيوتنا وننشغل في مجاهدة أنفسنا وهذا هو ــ في نظرهم ــ الجهاد في سبيل الله بل هو أعظم من سابقه لانه الجهاد الأكبر وذاك هو الجهاد الأصغر.

اذن فقد اتخذ تفسير الهجرة بترك الذنوب ذريعة لالغاء الهجرة بالمعنى الأول واتخذ تفسير الجهاد بجهاد النفس ذريعة لالغاء الجهاد بالمعنى الأول، وهذا هو الانحراف في الفهم، لان في الاسلام هجرتين لا هجرة واحدة، ونوعين من الجهاد لا نوعاً واحداً، والغاء ايّ من الهجرتين ــ نوعي الهجرة ــ بالتذرع بالنوع الآخر، أو الغاء أيّ من نوعي الجهاد بالتذرع بالآخر، كل ذلك يعني انحرافا عن الاسلام وتعاليمه.

ان قادتنا الدينيين ــ الرسول الأكرم، الامام علي(ع) والأئمة الأطهار ــ كانوا جميعا مهاجرين في سبيل الله، بكلتا الهجرتين، وكانوا(ع) مجاهدين في سبيل الله بكلا الجهادين. واذا نظرنا الى الموضوع من الناحية المعنوية، وجدنا هناك درجات لايمكن الوصول إليها إلاّ عبر المرور بكلتا الهجرتين او الجهادين، فلايمكن بحال ان يحصل الانسان على درجة المجاهد وهو لم ير ساحة الجهاد أصلاً، كما لايمكن له ان يحصل على درجة المهاجر وهو لم يهاجر بالمعنى الظاهر ــ المعنى الأول ــ وهذه هي سنة الله في خلقه للانسان، اذ جعل نضجه وتكامله ورقيه مرهونة باجتياز دورات تربوية خاصة، فالزواج مثلا يعتبر من وجهة نظر الاسلام عملا مقدسا من عدة وجوه «على العكس من المسيحية المعاصرة التي تعتبر العزوبة عملاً مقدساً»، فلماذا يعتبر الاسلام الزواج عملا مقدسا؟!... ان سر الاهتمام بهذا الامر هو تأثيره المهم في تربية روح الانسان، فلروح الانسان خاصية التكامل والرقي والنضج لايمكن ان تحصل عليها إلاّ بالزواج، أي لو ظل

الرجل عزبا الى آخر عمره أو لو ظلت المرأة عزباء الى آخر عمرها، فسيبقى هناك نقص في تكامل روحيهما، سببه فقدان الأثر التربوي للزواج ولايسد ذلك النقص حتى لو انهما قضيا العمر في العبادة، والرياضات ومجاهدة النفس، فالاسلام اعتبر الزواج سنّة من سننه، واحد اسرار ذلك التاثير الذي يتركه الزواج في تربية الانسان وتكامله. فكل عامل من العوامل المؤثرة والمشتركة في تربية الانسان ينحصر أثره في موقعه الخاص به، ولايمكن لأي عامل آخر أن يحل محله اذا فقد ويحدث نفس تاثيره التربوي، كما انه لن يستطيع ان يحل محل ايّ من العوامل الأخرى .. والهجرة والجهاد هما ايضا من العوامل التي تشترك في تربية الانسان وتكامله ولذلك فلايمكن ان يحل محلهما أي من العوامل الأخرى. فالجهاد مع النفس له موقعه، وكذلك الهجرة عن السيئات، لكن الهجرة العملية عامل تربوي لايمكن للهجرة بالمعنى الثاني ــ الهجرة عن السيئات ــ ان تحل محله. وكذلك حال الجهاد والقتال ضد أعداء الله فلايمكن ان يحل محله جهاد النفس والعكس صحيح أيضا، فكلاهما يضعهما الاسلام في صف واحد و يعتبرهما من عوامل التربية الاسلامية.

وهنا يبرز سؤال مهم يقول: اذ الظروف الموضوعية التي يعيشها الفرد المسلم متباينة ولا تقتضي جميعها من الفرد المسلم أن يهاجر أو يجاهد أعداء الله فما ذاسيكون موقفه آنذاك خاصة بعد ان عرفنا الأثر التربوي المهم للهجرة والجهاد؟! يجيب الرسول الأكرم (ص) على هذا التساؤل بان واجب الفرد المسلم في هذه الحال، هو ان يكون في قلبه عزم صادق ونية مخلصة بأن يهاجر أو يجاهد أعداء الله، في أي وقت تتطلب الظروف الموضوعية الهجرة أو الجهاد، ومع توفر هذه النية المخلصة والعزم الصادق لدى الفرد المسلم، يصل بذلك الى درجة المهاجرين والمجاهدين حقا، وهذا الجواب النبوي يمكن استخلاصه من قوله (ص): «من لم يغز ولم يحدّث نفسه بغزو، مات على شعبة من النفاق».

والقرآن الكريم يقول: «لايستوي القاعدون من المؤمنين، غير أولي الضرر، والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكُلاً وعدالله الحسنى، وفضّل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً» (النساء: ٩٥).

ونلاحظ من النص القرآني انه لايدخل المتخلفين ضمن حديثه عن

القاعدين فهم غير منظور اليهم هنا، وانما حديثه هنا، عن القاعدين بعذر شرعي (هو وجود من به الكفاية من المجاهدين) فيقول:ان هؤلاء المجاهدين هم أعلى درجة وفضلاً وأجراً من القاعدين بعذر شرعي هو وجود العدد الكافي من المجاهدين، ولكن وفي نفس الوقت يؤكد النص ان هذا التفصيل لايشمل ـ أولي الضرر ـ من القاعدين أي القادرين على الجهاد والمعذورين بسبب الأمراض المختلفة التي تعوقهم عن الجهاد، ـ كفاقدي البصر، والمشلولين عن الحركة والمرضى الذين أقعدهم المرض فلا ينفي القرآن الكريم ان لهؤلاء فضلاً، ومن الممكن ان يصلوا الى درجة المجاهدين، بل ويسبقوا الآخرين في ذلك ،لوكان في قلوبهم عزم صادق ونية حقيقية، بان لو زالت عنهم تلك العوائق لذهبوا الى الجهاد في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم. وهذه القاعدة صحيحة عند توفر شروطها.

قال رجل لأمير المؤمنين الإمام علي(ع) وهو في طريق عودته من صفين[٧]: «يا أميرالمؤمنين ان لي أخاً كم تمنيت ان يحضر معنا صفين في معسكرك فينال فضل صحبتك» فماذا كان جواب الامام علي(ع)؟! لقد سأل ـ عليه السلام ـ الرجل عن نية أخيه ماهي؟ و ماذا في قلبه؟ وعلام عزمه؟ هل كان لديه عذر منعه من الحضور أم لم يكن لديه عذر؟! ثم يحدد الامام(ع) الأجوبة الدقيقة على كل تلك الاحتمالات، فاذا لم يكن معذوراً ولم يأت فعدم مجيئه خير لنا من مجيئه[٨]، وان كان معذوراً وقلبه معنا وعزمه ان يلحق بنا لو استطاع فهو معنا، فأجاب الرجل انه كذلك يا أمير المؤمنين فأجابه الإمام(ع): ان ليس أخوك وحده كان معنا بل ورجال آخرون مازالوا في أرحام أمهاتهم بل وفي أصلاب آبائهم، فهذا حكم ثابت فكل شخص وحتى يوم القيامة اذا وجد وكان في قلبه عزم صادق ان لوأدرك عليا في صفين لنصره فهو مع علي ويعتبر من أنصار علي وجيش علي في صفين حتى وان لم يحضر صفين بل ولم يعاصرها .

انتظار الفرج

ماذا يعنى انتظار الظهور ...؟ وماذا يعني نص « أفضل الأعمال انتظار الفرج»، البعض يتوهم ويظن ان «انتظار الفرج» وهوافضل الأعمال يعني ان ننتظر ظهور امام العصر(عج) مع جمع من خواص أصحابه وأنصاره وعدتهم«٣١٣» رجلاً ومعهم جمع آخر من غير الخواص ، فيحاربون أعداء الاسلام ويطهرون الأرض من دنسهم، ويقيمون العدل والأمن في البلاد ويوفرون الرفاه والحرية

بأكمل صورهما، بعد ذلك يقولون لنا تفضلوا! البعض يتوهم ان انتظار الفرج هو هذا، ويصفونه بأنه أفضل الأعمال،ولكن الانتظار الحقيقي للفرج، هو بانتظارنا ظهور الامام(ع) للانخراط في جيشه والقتال تحت إمرته حتى لو استشهدنا في هذا القتال، الانتظار الحقيقي هو ان يكون أمل الانسان كله وكل أمانيه حقا هي الجهاد في سبيل الله، وليس الانتظار حتي يأتي الحجة(عج) فنقول له: اذهب أنت وحدك فأنجز كلّ المهام الشاقة، وعندما يحين وقت جني الثمار سنأتي نحن، هذا هو منطق أصحاب موسى، أما أصحاب محمد فقد قالوا له: يا رسول الله لانقول لك ما قاله لموسى بنو اسرائيل. أصحاب موسى عندما وصلوا الى فلسطين ــ بيت المقدس ــ ورأوا فيها جندا متأهبين قالوا الموسى: «اذهب انت وربك فقاتلا، انا هاهنا قاعدون» (المائدة: ٢٤)، كان هذا هو منطق أصحاب موسى، اذهب أنت وربك فقاتلا وطهرا فلسطين من دنس الأعداء، وسنأتي نحن بعد ان نطمئن الى أنه لم يبق خطر فيها، ان موسى(ع) قد سألهم مستنكراً: فما هو واجبكم اذن؟! عليكم أنتم أيضا ان تخرجوا من دياركم الغاصب الذي أخرجكم منها، أما أصحاب النبي الأكرم(ص) أمثال المقداد، فما كان قولهم كهذا، و انما قالوا: «لقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق وأعطيناك مواثيقنا على السمع ولطاعة، فامض يارسول الله لماأردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلّف منا رجل واحد، وما نكره ان تلقى بنا عدونا غداً»[٩].

اذن فالانتظار الحقيقي للفرج هو أن يترسخ في قلوبنا عزم صادق ونية حقيقية وأمل بأن نوفق لأن نكون في جيش امام العصر(عج) فنشارك معه في إصلاح الدنيا.

«ياليتنا كنا معك فنفوز فوزاً عظيماً» هذه الجملة كثيراً ما نرددها ونخاطب بها أبا عبدالله الحسين(ع)، ولكن هل ياترى ننتبه حقا الى معناها، ان معناها، هو «أن يا أبا عبدالله يا ليتنا كنا معك فنستشهد بين يديك وتحت رايتك وبذلك نفوز فوزاً عظيماً». فهل هذا التمني مجرد قول أم أنه يعبر عن صدق نيَّة ورغبة حقيقية؟! هناك من يطلق هذه العبارة بصدق وعقيدة، لكن أكثرنا يقرأها في الزيارة ولا تتعدى لقلقة اللسان.

فللامام الحسين(ع) كلمة بحق أصحابه يقول فيها: «ما رأيت أصحاباً أبرّ

وأوفى من أصحابي»[١٠]، أحد كبار علماء الشيعة كان يشكك في نسبة هذا القول للامام الحسين(ع) وكان يستدل على عدم تصديقه ذلك النص بقوله: «اني كلما فكرت مع نفسي، توصلت الى ان أصحاب الحسين(ع) لم يقوموا بعمل خارق للعادة، بل ان العدو هو الذي أظهر خسة و وضاعة الى أقصى حد، فالامام الحسين هو سبط النبي الأكرم وريحانته وهو ابن علي والزهراء، وهو امام عصره وهو وهو... لذا فمن الطبيعي ان ينصر الحسين أيّ مسلم عادي يراه(ع) في ذلك الوضع، أولئك الذين نصروه، لم يظهروا شجاعة فائقة وخارقة للعادة، بل ان الذين لم ينصروه هم الذين كانوا سيئين جداً. ويتابع هذا العالم الكبير حديثه فيقول: «ويبدو ان الله سبحانه أراد ان ينقذني من هذه الغفلة والجهالة والضلالة فرأيت في عالم الرؤيا وكاني حاضر في واقعة الطف، فاعلنت للامام الحسين(ع) استعدادي لنصرته، اذ ذهبت اليه فسلمت وقلت: يا ابن رسول الله أتيتك ملبيا لندائك لأكون من أنصارك ، فقال(ع): اذن فانتظر أمرنا... ثم حل وقت الصلاة[١١] فقال(ع): نحن نريد اقامة الصلاة فقف أنت هنا كي تحول دون وصول سهام العدو الينا حتى نتم الصلاة، فقلت أفعل يا ابن رسول الله، فشرع(ع) بالصلاة و وقفت أمامه وبعد هنيهة رأيت سهماً ينطلق بسرعة نحوي، فلما اقترب طأطأت رأسي دون إرادتي فاذا بالسهم يصيب الامام(ع) فقلت ـــ والحديث لازال في عالم الرؤيا ـــ استغفر الله وأتوب اليه، ما أقبح ما فعلت، لن أسمح بعد هذا لتكرار مثله، أي بوصول سهم الى الامام(ع)، وبعد هنيهة أخرى، أتى سهم ثان، فحدث مني ما حدث في المرة الأولى، وأصيب الامام ثانية بسهم آخر، وتكرر الحال ثالثة ورابعة والسهام تصيب أبا عبدالله وأنا لا أمنعها من الوصول اليه وحانت مني التفاتة فرأيت الامام ينظر الي مبتسما ثم قال: «ما رأيت أصحاباً أبرَّ و أوفى من أصحابي» ان الجلوس في البيت وتكرار قول «ياليتنا كنا معك فنفوز فوزاً عظيماً»، لا قيمة له مالم تقرنه بالعمل والتطبيق فهل أنت كذلك ؟ ان أصحابي كانوا أهل عمل وتطبيق ولم يكونوا أهل قول مجرد عن العمل.

لقد انجرَّ الحديث تلقائياً الى هنا، ولقد اقترب وقت الظهر وفيه صلى الحسين(ع) يوم عاشوراء آخر صلاة له في هذه الدنيا وقد استشهد معظم أصحابه في هذا اليوم قبل الظهر وعند حلوله لم يكن قد بقي إلاّ الحسين(ع) وأهل بيته ونفر من أصحابه، اذ استشهد القسم الأكبر منهم قبل ذلك في أثناء التراشق المتبادل

للسهام ــحرب الرماةــ. الجيش الصغير ذو العدد القليل، كان جيش أبي عبدالله لايزيد على اثنين وسبعين رجلاً، لكن هذا الجيش الصغير كان يتمتع بمعنويات عالية، وشجاعة منقطعة النظير، الامام الحسين(ع) كان يأبى ويأنف من ان تظهر عليه أدنى امارات الضعف والانكسار، كذلك نظمه تنظيما حربيا، جعل لهؤلاء الاثنين والسبعين، قلبا وميمنة وميسرة كأي جيش نظامي آخر، فكان زهير ابن القين على الميمنة وحبيب بن مظاهر على الميسرة وعقد راية جيشه لأخيه أبي الفضل العباس(ع) الذي أصبح منذ ذلك اليوم يلقب بحامل لواء الحسين(ع).

أصحاب أبي عبدالله كانوا يتلهفون لبدءالقتال، لكن الامام(ع) كان يأبى ويصر على ان لايقاتل حتى يبدأهم الأعداء بالقتال. وأما قصة بدء القتال فكانت على يد عمر بن سعد.

ان عمر بن سعد كان يريد ان يجمع الدين والدنيا معا، الله والمادة معا، كان يريد أن يجمع بين حصوله على ملك الري من ابن زياد، ولكن دون ان يلطخ يديه بدم الحسين(ع) وبسبب هذا الصراع الذي كان يعانيه مع نفسه، أرسل ابن سعد الرسائل المتوالية سعياً لتجنب القتال مع الحسين(ع) وعندما علم ابن زياد بهذه المساعي، أرسل الى ابن سعد رسالة شديدة اللهجة، عنّفه فيها وأمره ان يحسم الأمر سريعا بقتل الحسين(ع) وهدده بأنه سيعزله وينصب غيره ان لم يفعل، لم يستطع عمر بن سعد ان يتخلص من عبودية الدنيا، واذ تردد الأمر بينها وبين الدين باع دينه طمعاً بالدنيا، فقال سمعاً وطاعة لأمر الأمير ابن زياد (لع)، فأظهر الكثير من الضعة والخسة والغدر وارتكب أفظع الجرائم التي عرفها التاريخ. ويعلل ابن سعد ارتكابه لقسم من تلك الجرائم بأنه كان يسعى من أجل ان ينفي عن نفسه تهمة الانحياز الى الإمام الحسين(ع)، ومن أجل ان يؤكد لابن زياد اخلاصه وولاءه له بعد ان وصلت لابن زياد رسائل تتهم ابن سعد بالتردد في قتال الإمام(ع) والميل اليه، ونفيا لهذه التهمة أقدم ابن سعد على ارتكاب سلسلة من الجرائم البشعة بحق آل الرسول تملقاً لابن زياد، فأمر فرقة الرماة بالاستعداد بعد ان تقابل الجيشان، فاستعد الرماة وأخذ ابن سعد سهما وأطلقه نحو خيام الإمام الحسين(ع) وقال: «اشهدوا لي عند الأمير اني أول من رمى»[١٢].

هذه هي قصة أول سهم أُطلق في واقعة الطف، وأنا كلما وصلت الى هذا

المقطع من واقعة الطف في كربلاء تذكرت قولاً لصديقنا وصديقكم العزيز العالم الكبير المرحوم آيتى، فلقد سمعت منه أو قرأت له أن واقعة الطف بدئت بسهم وختمت بسهم، لقد بدئت بسهم عمر بن سعد فهل تعرفون السهم الذي ختمت به؟! أي الذي أنهى القتال بين الطرفين... لقد كان ذلك عندما وقف سيد الشهداء وحده في الميدان وقد تعب من كثرة القتال وأخذ منه العطش مأخذاً عظيماً، ثم كان(ع) ان أصابته حجارة رماها أحدالأ وغاد نحوه، فأصابت جبهته المباركة وسال منها الدم الزاكي فلما رفع الإمام ثوبه يمسح جبينه أُتاه سهم مثلث مسموم فأصاب قلبه فختم بذلك جهاد سيد الشهداء، ولم يعد الإمام يذكر شيئا ولم يعد يخاطب إلاّ ربه قائلاً: «بسم الله و بالله وعلى ملة رسول الله».[١٣]

كان عابس بن شبيب الشاكري رجلاً من أصحاب الحسين قد ملأت كيانه روح الشجاعة والبطولة الحسينية، فوقف في وسط الميدان يدعو جيش بني أمية للمبارزة... فلم يجرؤ أي منهم على تحدي هذا الليث الغاضب، وبعد تكرار الدعوة لهم، وجد عابس ان لامة حربه تعيقه عن الحركة ومهاجمة أعداء الله، فخلعها كلها ـــ درعه وطاسه وغير ذلك ـــ وعاد الى الميدان يهاجم أعداء الاسلام، فلم يجرؤ أحد على الوقوف في طريقه، وما استطاعوا قتله إلاّ برميه بوابل من الحجارة والسهام فاستشهد بهذا الأسلوب الوحشي. ولقد رسم جميع أصحاب أبي عبدالله(ع) في يوم الطف أروع صور البطولة والفداء، رجالاً ونساء، وزينوا تاريخ البشرية بلوحات مدهشة وصفحات مشرقة ليس لها نظير. ولو كانت قد وجدت مثل هذه الصور البطولية المشرقة في تاريخ الغرب، لرأيت كيف يعظمونها ويصنعون منها نماذج مشرقة.

وعبدالله بن عمير الكلبي رجل آخر من أصحاب الحسين(ع) كان قد اصطحب معه الى كربلاء زوجته ووالدته، وقد كان من الأبطال البارزين، وعندما أراد النزول الى الميدان في يوم عاشوراء، اعترضته زوجته وقالت له: الى من تتركني وعند من تودعني ـــ وكان جديد عهد بالزواج منها ـــ ثم اردفت قائلة: «بالله لا تفجعني في نفسك». وما ان سمعت أمه قول زوجته حتى خاطبته: «يا بنيّ لا تسمع لقولها. اذهب وقاتل بين‌إيدي ابن رسول الله(ص) ليكون غداً في القيامة شفيعك، ولا أرضى عنك حتى تقتل بين يدي الحسين». فرجع وقاتل حتى استشهد فأخذت أمه عمود الخيمة وهاجمت الأعداء، فردها الحسين و قال:

«جزيتم من أهل بيت خيراً إرجعي الى النساء يرحمك الله فقد وضع عنك الجهاد» ويرتكب الأعداء جريمة بشعة جديدة اذ يقطعون رأس عبدالله ويرمون به صوب أمه فتأخذه وتمسح التراب عنه وتقبله و تحتضنه وتخاطبه بقولها: «قد رضيت عنك بني قد رضيت» ثم ترميه الى معسكر الأعداء وهي تقول: ما قدمنا في سبيل الله فلن نسترجعه.

ومن الأنصار الآخرين الذين استأذنوا الحسين(ع) في الخروج للقتال، صبي ابن عشرة أعوام أو اثني عشر عاما، كان أبوه قد قتل في المعركة، وقد شد الصبي حمائل سيفه، طالبا الإذن بالقتال لكن الإمام الحسين(ع) لم يأذن له بالقتال رأفة بأمه التي فجعت بزوجها منذقليل فقال(ع): «هذا غلام قتل أبوه في الحملة الأولى ولعل أمه تكره ذلك» فأجابه الغلام مؤكدا رضا والدته بقتاله دون الحسين وعدم رضاها بغير ذلك فقال: «ان أمي هي التي أمرتني وقالت لاأرضى عنك حتى تقتل دون الحسين».

هذا الصبي امتاز بأدب رفيع وخلق عال وقد ضرب في يوم الطف مثلا رائعاً في الرفعة والسمو امتاز بها على الجميع، اذ ان كل من كان يبرز الى ميدان القتال من أصحاب الحسين(ع)، كان يعرّف نفسه رجزاً أو خطابة وهذا امر تعارفت عليه العرب، وكان من يرتجز او يتحدث يذكر ــ عادة ــ اسمه واسم ابيه و عشيرته، ولكن هذا الصبي لم يفعل ذلك، ولم يذكر اسمه أو اسم أبيه وعشيرته، بل ظل مجهولاً في التاريخ، وأرباب المقاتل لم يذكروا ابن أي من الأصحاب هو، ولم يكتبوا في تعريفه سوى «وخرج غلام قتل أبوه في المعركة»، فلماذا لم يعرف، ألم يرتجز ويعرف نفسه عندما برز للقتال؟ بلى فعل ذلك، وأنشد رجزاً أبدع فيه كل الإبداع وبطريقة تفرّد بها ولم يسبقه أو يلحقه فيها أحد. لقد ارتجز قائلا:

«أميري حسين و نعم الأمير ... سرور فؤاد البشير النذير»
«علي وفاطمة والداه ... فهل تعلمون له من نظير»

بهذا الرجز لااكثر، عرّف نفسه للعالم فلم يعرف نفسه بذكر اسمه والافتخار بأبيه وجده وعشيرته، بل عرّف نفسه بالافتخار بانه من جند الحسين(ع) وان أميره الحسين وكفى.

«اللّهمّ ارزقنا توفيق الطاعة، وبعد المعصية وصدق النية وعرفان الرحمة واكرمنا بالهدى والاستقامة، وسدد السنتنا بالصواب والحكمة و املأ قلوبنا بالعلم

والمعرفة.

اللّهم نوّر قلوبنا بنور الايمان.

اللّهم واجعلنا من المهاجرين والمجاهدين حقا في سبيل إعلاء كلمة دينك.

اللّهم وانصر المسلمين على أعدائهم في كافة الجبهات.

اللّهم وارجع سهام شر اليهود الى نحورهم.

اللّهم اشف مرضى المسلمين.

اللّهم واجعل قلب امام زماننا راضياً عنا جميعا.

اللّهم وتفضل على أمواتنا بالرحمة والمغفرة».

ولاحول ولاقوة إلاّ بالله العلي العظيم

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

المحاضرة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين، بارئ الخلائق أجمعين والصلاة والسلام على عبدالله ورسوله وحبيبه وصفيه وحافظ سرّه ومبلغ رسالا ته سيدنا ونبينا ومولانا أبي القاسم محمد(ص) وآله الطيبين الطاهرين المعصومين. أعوذبالله من الشيطان الرجيم:

«ومن يخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفوراً رحيماً»[١٤].

في المحاضرة الأولى، كان حديثنا عن أصلي الهجرة والجهاد الذين ورد ذكرهما معا مراراً وتكراراً في القرآن الكريم، أما بحثنا في هذه المحاضرة فهو تتمة لما سبق، اذ نتحدث عن قيمة هذين الأصلين وأثرهما في تربية الانسان وتكامله خاصة من الناحية الأخلاقية، وقد نتطرق في الحديث أحيانا الى الناحية الاجتماعية لهما، وقد تحدثنا سابقاً عن الفهم المتطرف الذي فسر به مفهوما الجهاد والهجرة، وأوضحنا التفسير الحقّ والصحيح وحدوده، ولاحظوا هنا أنّنا إذا أردنا الحصول على روح الهجرة والجهاد على كافة الجبهات ــ المادية والمعنوية ــ فعلينا أن نصرفَ أن معنى الهجرة هوالتخلص من الأشياء التي تلتصق بالانسان أو يلتصق بها هو والابتعاد عنها. فالمهاجر هو القادر على هجر أي عمل اعتاد على ممارسته اذا اقتضت الظروف الشرعية ذلك. أما الجهاد فهو الصراع والكدح والكفاح، سواء مع اعداء الله في الخارج أو مع النفس الأمّارة بالسوء في الداخل،

ولن يكون نصيب الانسان بدون الهجرة والجهاد، إلاّ الذل والمسكنة، فالانسان يكون انسانا بمعنى الكلمة عندما يكون حراً من جميع قيود الذل التى تحيط به، وان لايكون عبداً لأيّ شيئ مهما كان قريبا منه وملتصقا به، وإلاّ فالذي يخضع للظروف التي يعيش فيها ويكون عاجزاً عن التخلص منها، لايمكن ان يوصف بانه حر مطلقا، بل على العكس هو أسير وذليل تجاه ذلك الواقع.

واذا تناولنا موضوع الهجرة الظاهرية حيث يبرز فيها السفر كجزء أساس من أجزائها، لبرز تلقائيا سؤال هو: أيها أفضل للانسان السفر ام الاقامة؟! ولانقصد هنا بالطبع ان يكون الانسان على سفر دائم دون اقامة او وطن اصلا، بل نقصد هل ان اقامة الانسان في وطنه دائماً دون ان يسافر مطلقا، أفضل، أم ان السفر مفيد للانسان وهو بحد ذاته هجرة؟! فالسفر ــ من وجهة النظر الاسلامية ــ يعتبر أمراً ممدوحا بحد ذاته.

ان الاسلام قد نهى عن السياحة في الأرض،[١٥] لكن ذلك لايعني ان يقضي الانسان عمره في قريته او مدينته فلايخرج منها، ولايسافر فيرى البلدان الاخرى، فهذا الوضع الجامد يضعف روح الانسان ويجعلها خاضعة لحكم البيئة التي يعيش فيها.

اما حال الانسان الذي يسافر فعلى العكس من ذلك، خاصة اذا كان هدفه من السفر هو طلب العلى والمنزلة الرفيعة واكتساب الفضائل والكمالات الانسانية. وفي السفر تكمن خمس فوائد هي:

١ــ تفرج هم: ان السفر يزيح الهموم والأحزان عن القلب. فالانسان مادام مستقراً في بيئته التي شهدت حياته الماضية، فانه يتذكر دائماً المشاكل والأحزان التي مرت به، وهذا مايجلب له الهموم، في حين ان السفر والابتعاد عن تلك البيئة، يبعد الانسان عن كل ما يذكره بتلك الأحزان، وبالتالي فان أولى فوائد السفر هي ان يتخلص الانسان ــ ولو لفترة مؤقتة ــ من الهموم والغموم التي تعصر قلبه و تسحق روحه.

٢ــ اكتساب معيشة: الذكي يستطيع ان يكتسب معيشته بالسفر الى مكان آخر، فلاينبغي للانسان ان يحدد مصادر كسبه بالمحيط الذي يعيش فيه اذ ماأكثر الذين هاجروا من بلدانهم الى بلدان أخرى، واستطاعوا بما يملكون من كفاءة، ان يحصلوا على حياة أفضل و أكثر حيوية وموارد كسب أوسع.

٣ـ طلب العلم: وغير ماتقدم هناك فائدة مهمة أخرى للسفر وهي طلب العلم، وكل عالم له عالم خاص به، قد يكون هناك في مدينتكم علماء كبار، ولكن لكل زهرة عطر خاص بها، عالم المدينة الأخرى قد لايصل الى مستوى العالم في مدينتكم، ولكن له عالم خاص به وعطر خاص به، وعندما تلتقون به ستجدون عنده علماً غير الذي عندكم فتكسبون بذلك علما جديداً.

٤ـ اكتساب الفضائل: لايمكن اكتساب الأخلاق جميعها بالاعتماد على العلوم النظرية وحدها وبالبقاء في بيئة واحدة. كما ان السفر وحده ودون ان يكون للانسان اساس من المعرفة، لايمكن ان يثمر شيئا في اكتساب الفضائل و الأخلاق. أما اذا كان الانسان يملك أساسا من المعرفة السليمة ثم يسافر، عندئذ سيترك السفر عليه آثاراً ايجابية للغاية. فالذي يسافر سيرى مالم يره في بلده، وذاك النضج الذي تبلغه الروح جرّاء الهجرة والسفر الى البلدان الأخرى لايمكن ان يحصل عليه الانسان بأية وسيلة أخرى وبضمنها قراءة الكتب.

هناك من يقول: اني لاأحتاج للسفر الى البلدان الأخرى، اذ باستطاعتي ان أحصل على ما أريد معرفته بقراءة الكتب التي تتحدث عن تلك البلدان. المطالعة أمر مفيد بلاشك، لكنها على أي حال لن تستطيع أن تترك في الانسان نفس الأثر الذي يتركه السفر والمشاهدة عن قرب، في القرآن الكريم آيات تأمر بالسير في الأرض مثل: «قل سيروا في الأرض» و: «أو لم يسيروا في الأرض»، ويتفق المؤرخون على ان ماتقصده هذه الآيات هو الاطلاع على التاريخ والاعتبار به، لكن القرآن لايحصر تحقق هذا الأمر بقراءة الكتب التاريخية بل يدعو الى ماهو أعظم أثراً من ذلك ألا وهو مشاهدة الآثار التاريخية على الأرض، والاعتبار بها، وهذه الفائدة هي من جملة الفوائد التي يحققها السفر، والتي لايمكن ان تتحقق بغيره، الامام علي(ع) يقول في الديوان المنسوب اليه:

تغرب عن الأوطان في طلب العلى　　وسافر ففي الاسفار خمس فوائد
تفرّج همّ، واكتساب معيشة　　وعلم وآداب وصحبة ماجد

سافر، ولا تكن مثل الطير المحبوس في القفص، سافر وليكن هدفك التعرف على من تسافر اليهم، عندما تسافرون الى بلدان أخرى، ستتعرفون على نماذج جديدة من الآداب والأخلاق الاجتماعية قد تجدونها أحياناً أفضل من أخلاقكم وآدابكم فتكتسبون منها أو على الأقل فانكم تستطيعون ان تقارنوا بين

تلك الأخلاق والطبائع و أخلاقكم وطبائعكم فتنتخبوا الأفضل منها.

٥ــ **صحبة ماجد:** وغير ماتقدم هناك فائدة أخرى وهي صحبة رجل ماجد، ففي السفر قد يوفق الانسان لمصاحبة الرجال العظماء، ومعروف ماتثمره مصاحبة هؤلاء من ثمار طيبة وماتتركه من آثار إيجابية على أخلاق الفرد، والصحبة هنا لا تعني علاقة التعليم والتعلم بل تعني المعاشرة الطيبة بما يتخللها من تعلم عملي نافع.

وعندما يحدد الامام(ع) هدف السفر «طلب العلى» فهذا لايعني قصر الاهتمام في أثناء السفر، بالبحث عن أفضل الأطعمة وأرقى الفنادق وأمثال ذلك. ان طلب العلى يعني ان يكون الهدف من السفر هو اكتساب الفضائل العلوم والمعارف والكمالات الانسانية والنضج العقلي. فلتكن هذه الصفات هي ثمار الأسفار والهجرة.

والتاريخ بدوره يثبت لنا ان العلماء الذين سافروا و هاجروا ــخصوصا بعد طيهم لمراحل النضج الأولىــ قد اكتسبوا نضجاً جديداً وكمالاً أرقى، فالشيخ البهائي مثلا له ميزة خاصة وموقع خاص بين العلماء، فقد كان عالما موسوعيا حقا، برع في مختلف فنون العلم. ومن بين الشعراء برز اسم الشاعر سعدي الذي برع في مختلف فنون الشعرــ الغزل والعرفان والحماسة والفخر وغير ذلك ــ وسر براعته في كل تلك الفنون يرجع الى اتساع ثقافته ومعارفه.

سعدي هذا عاش تسعين عاما، قضى ثلاثين منها في التحصيل والدراسة، وثلاثين أخرى في السفر والتجوال، والثلاثين الأخيرة كانت مرحلة نضجه وتكامله وفيها ظهرت ثمار عمره الطويل فكانت تآليفه القيمة التي كتب معظمها في هذه الفترة. لذلك أصبح سعدي رجلاً ناضجاً ومتكاملاً نسبياً.

يقول هذا الشاعر في ديوانه «بوستان» متحدثاً عن أسفاره وآثارها، ما ترجمته: «ولقد جلت في أرجاء العالم كثيراً، ورافقت كل شخص أياماً، واستفدت من كل صوب وزاوية شيئا ، وحصدت من كل حقل سنبلة».

يقول سعدي في قصص كتابيه «گلستان و بوستان»:

«كنت في جامع بعلبك فحدث كذا و كذا» ويقول في محل آخر:«وكنت في كاشمر وحدث كذا وكذا»فأين بعلبك من كاشمر، وما أبعد الشقة بينهما، وفي ثالثة يقول:«كنت في الهند وحدث كيت وكيت»وفي رابعة يقول:«صادفت رجلاً

كانت طباعه وأفعاله كيت و كيت، وقد رافقته في سفري الى الحجاز».

كل هذه المشاهدات وغيرها يعكسها سعدي في شعره، ولاشك ان شاعرية وروحية الشاعر تتكاملان بهذه المشاهدات والتجارب، بل هي السر الذي يكمن وراء ماتجده في شعر شاعر كسعدي من تنوع وابداع في مختلف الفنون، وهذه الميزة تجدها في شعر مولوي الذي كان قد سافر كثيراً أيضاً وتعرف على ثقافات الكثير من الشعوب، وأدخل بعضا من اخيلتهم وتعابيرهم في شعره. وكان يعرف السنتهم وملمّاً بثقاقاتهم. وهذه الميزة لاتجدها في شعر حافظ، فعلى الرغم من أننا نعتزبه كثيراً، اذ انه كان رجلاً عارفا متميزاً حقا، و على الرغم من انه برع كل البراعة في فن الغزل العرفاني، وتعمق فيه غاية التعمق حتى ان سعدي لم يستطع اللحاق به في هذا الفن، على الرغم من كل هذه الميزات التي تميزبها حافظ، إلاّ ان براعته قد ظهرت في فن واحد فقط من فنون الشعر، وحافظ لم يستطع ان يقنع نفسه بمغادرة وطنه شيراز، ويقول حافظ نفسه في تصوير حالته هذه و تعلقه بوطنه شيراز:

«ولو ان اصفهان هي نبع الحياة، إلاّ ان شيراز أفضل» ويكثر في شعره من مدح شيراز والتحدث عن جمالها و مميزاتها. ظل حافظ ملتصقاً بصومعته في شيراز ولم يغادرها، ويقال انه سافر مرة الى يزد، لكنه اكتأب وحزن كثيراً لذلك، وكم كان يتمنى في شعره ان يعود الى وطنه شيراز، في شعر من هذا الطراز يتمنى حافظ ان يذهب الى مايصفه بملك سليمان ويتخلص مما يصفه بسجن الاسكندر الذي ضاق صدره منه، وهذا الوصف يبين في الواقع لسان حال الشاعر، فقد ورد في الأساطير القديمة ان الاسكندر المقدوني عندما احتل ايران اتخذ من يزد سجناً يرسل اليه من يحكم عليه بالحبس، في حين ان شيراز كانت تسمى قديما بملك سليمان.

مما تقدم يتضح مقصود الشاعر ومشاعره تجاه يزد وشيراز،[١٦] وكدليل آخر على ان الوصف المتقدم من الشاعر تجاه يزد وشيراز نابع من حبه لشيراز وتعلقه بوطنه وان ضيق صدره من يزد لايرجع الى سوء معاملة أهلها بل من شوقه الى مدينته شيراز وتعلقه بها، اذ نجده في قصائد أخرى يمدح أهل يزد و يعترف بحسن استقبالهم له وحفاوتهم به. ومهما يكن الحال فانه عندما عرض على حافظ السفر الى الهند للاقامة هناك قرب البحر، رفض ذلك رفضاً قاطعاً، وعاد الى شيراز

وبقي فيها معتكفا في صومعته ولم يغادرها أبداً.

ولاشك في ان عالما كالشيخ البهائي الذي طاف الدنيا بأسرها، يتميز كثيراً عن رجل الدين الذي لم يغادر بوابة النجف طوال عمره، فالبهائي تعرف على مختلف الملل والنحل، واحتك بآرائها وعقائدها وطبائعها، ولدينا الكثير من العلماء الذين اتصلوا ــ كالبهائي ــ بمختلف الطوائف والفرق و سافروا كثيراً و اطلعوا على الكثير من أخلاق الشعوب وثقافاتهم وتحدثوا مع الكثير من الأساتذة وفي مختلف الفنون وعندما نطالع التاريخ نجد ان مثل هؤلاء العلماء تميزوا باتساع ملحوظ في ثقافاتهم و في أفق تفكيرهم مقارنة بأولئك النفر من العلماء الذين كان لهم مستوى مماثل من النبوغ والاخلاص بل أكبر وأشد، إلاّ أنهم لم يخرجوا الى العالم ولم يغادروا حدود المدينة التي كانوا يعيشون فيها، فمن المؤكد ان يكون هؤلاء أقل نضجا من اولئك.

ومما تقدم نستنتج ان للهجرة تفسيراً يختلف عما يدل عليه الظاهر، وقد ورد هذا التفسير في أحاديث المعصومين(ع) ويوضحه النص التالي «المهاجر من هجر السيئات» إلاّ ان هذا التفسير ينبغي ألاّ يفهم فهما خاطئاً من لدن البعض، فهذا التفسير لايلغي المعنى الأول للهجرة ــ الهجرة بالمعنى الظاهر والمعروف ــ بل ان هذا التفسير يثبت ان هناك في الاسلام هجرتين لا هجرة واحدة، إحداهما على صعيد الظاهر والأخرى على الصعيد المعنوي، أي ان الهجرة الاسلامية لا تنحصر في ترك الأهل والديار والسفر الى منطقة أخرى حسب ما تقتضيه مصلحة الاسلام، أو ان لايكون أسير البيئة التي يعيش فيها، هذا هو نوع من نفي العبودية، ولكن هناك نوع آخر من الهجرة، ألا وهو التحرر من أسر العادات والتقاليد والأمور المعنوية أيضا والتي يلتصق بها الفرد منذ نشأته، فالانسان يجب ان لايكون أسير الجو الروحي الذي يعيشه، كما ينبغي له الاّ يكون أسير جوه الروحي الخاص، والتحرر من هذا النوع من الأسر هو الهجرة بالتفسير الثاني الذي ورد ذكره في الأحاديث.

فالانسان قد يعتاد أحيانا على بعض الأشياء ــ كالاعراف الاجتماعية والعادات الجسمية ــ فتتأصل في روحه وبدنه وتصبح بالنسبة له ركناً أساسياً في حياته، فالتدخين مثلاً يعتبر من العادات الجسمية وكثير من المدخنين عندما يمرضون وينصحهم الأطباء بتركِ التدخين، يجيبون بأنهم لايقدرون على تركه لأنهم

قد اعتادوا عليه، وترك العادة يجلب المرض وهذا بالطبع كلام فارغ وهراء. «المهاجر من هجر السيئات» ان الرجل هو من هجر كل ما اعتاد عليه والتصق به، فالمدخن الذي لايستطيع ترك التدخين لايمكن ان يسمى انساناً حقاً.

المرحوم آية الله (حجت) ــ أعلى الله مقامه ــ كان مدخناً عجيباً حقاً، لم أر حتى الآن مدخناً مثله، كان أحياناً يشعل السيكارة من عقب اختها، واذا حدث ان فصل بين اثنتين فليس ذلك إلاّ لوقت قصير جداً. وعندما مرض ونقل الى طهران للعلاج، نصحه الأطباء بترك التدخين لأنه مصاب بمرض رئوي والتدخين يشكل عليه خطراً كبيراً، في البداية أجابهم مازحاً اني أريد الصدر كي أدخن فان لم استطع التدخين فما حاجتي الى الصدر؟! فقالوا له على كل حال التدخين مضر لك جداً، سألهم: أحقا هو مضر؟ قالوا: نعم، فقال: اذن، لن أدخن بعد الآن، هكذا و بكلمة واحدة انتهى كل شي ء، و بقرار واحد أصبح هذا الرجل معرضا عن أمر كان قد اعتاده والتصق به زمناً طويلاً.

وينقل ان المأمون كان معتاداً على أكل التراب، فجمعوا له الأطباء لانقاذه من هذه العادة فوصفوا له مختلف أنواع العلاجات ولكن دون جدوى، وفي أحد المجالس دار الحديث عن داء المأمون وعجز الأطباء عن علاجه، فقال درويش كان جالسا في أقصى المجلس «ان لدي دواء هذا الداء» فشخص القوم أبصارهم نحوه دهشة وسألوه عن الدواء فأجاب «عزمة من عزمات الملوك » وحين وصل قول هذا الدرويش الى المأمون قال: أصاب الرجل وفعلا فقد عزم وتم الأمر.

وينبغي للانسان الاّ يصبح أسير عادة مهما كانت، ويؤسفني ان أقول: ان هذا الأمر منتشر بصورة أوسع بين النساء، اذ يحرصن أكثر من الرجال على التمسك بالعادات الاجتماعية المتعلقة بمراسم العزاء والزواج، وكلما قيل لهن: ان هذا غير صحيح، أجبن على الفور: وماذا نفعل؟ هل ندوس على الأعراف و التقاليد الاجتماعية؟ واذا طرحنا عليهن السؤال حول الفائدة المجتناة من هذا العرف أو ذاك كان الجواب: انه عرف اجتماعي لايمكن التخلي عنه. وهذا الحال يعني الخضوع الأعمى، وفقدان الارادة، والعبودية تجاه تلك الأعراف، وهذا مالاينبغي للانسان ــ أي انسان ــ ان يكون عليه: فالانسان العاقل يجب ان يخضع جميع تصرفاته ومواقفه لحكم العقل، والمنطق السليم، وهنا يجدر التنبيه الى انه من غير الصحيح ما يذهب اليه بعض المعاصرين من رفض كافة الأعراف الاجتماعية،

والتمرد عليها جميعا اذ هـذا تطرف على الجهة الأخرى، نحن لانرفض جميع الأعراف الاجتماعيـة بل نرفض منها ما خـالف العقل والمـنطق ونقبل مـا وافقهما. إذن وكما اتـضح لكم مما تـقدم فان الاسلام يـعـتبر الهجرة ركنـاً أسـاساً في حياة النـاس، بل الهـدف منها هو إحياء وتربـيـة شخصية الانسان، ومحاربـة واحـد من أهم العوامل التي تـدفع بالانسان الى العبـودية والذل والخضوع للبيـئة التي يعيش فيها، أو للأمور المادية أو المعنوية التي يـعتاد عليها. فلاينـبغي للانسان ان يصبح أسـيراً للبيئة التي ولد فيها.[١٨] بل ينـبغي له ان يحافظ على حريته واستقلاله فلايكون عبداً لبيئته ولا للأعراف والعادات الاجتمـاعية والأخلاق السيئة التي يفرضها عليه المجتمع الذي يحيا فيـه، فـ«المهاجر من هجر السـيئات» والهجرة تـعني الانفصال والابتعـاد عن القبائح التي تحيط بالانسان مادية كانت أم معنوية.

اذن فنتيجة ما تقدم هي ان الهجرة عامل تربوي مهم بالنسبة للانسان.

الجهاد

ومعناه هو الصراع، واذا أخذنا بالتفسير المعنوي له ـ أي الجهاد مع النفس ـ فانه يعني الصراع معها. وكما لاينبغي للانسان ان يكون أسير البيئة التي يعيش فيها، كذلك لاينبغي له ان يكون خاضعاً للعوائق والمصاعب الموجودة في البيئة. فقد خلق الانسان كي يزيل بنفسه تلك العوائق من طريقه ليصل الى مرتبة التكامل، والرشد المعنوي.

القرآن الكريم يقول: «ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيراً وسعة[19]» (النساء: ١٠٠) وهذه الآية تسبق قوله تعالى: « ومن يخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله ...الآية» (النساء: ١٠٠).

وللقرآن الكريم هنا بيان لطيف وعجيب، اذ انه يورد قبل آيتي الهجرة آية المستضعفين:

«ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم، قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها» (النساء:٩٨).

فهذه الآية تناقش وبصيغة الحوار أعذار أولئك الذين ينحرفون عن جادة الرشد والصواب بسبب بقائهم في ظل الظلم وأجواء الفساد،[20]، فعندما تقبض الملائكة أرواح هؤلاء؛ تجد صحائفهم سوداً مملوءة بالقبائح، فتسائلهم عن ذلك، فيكون عذرهم، «كنا مستضعفين في الأرض» كنا نعيش في بيئة فاسدة ونحن

ضعاف لانستطيع دفعا وما شابه ذلك من الأعذار، فترد الملائكة عليهم رافضة أعذارهم وتقول لهم: ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها. ؟ هذا العذر يمكن ان يقبل من الاشجار التي تعيش في بيئة ملوثة بالدخان مثلا فتذبل أوراقها وتسود أعضاؤها، والعذر بذلك يقبل منها، لأنها لا تستطيع حراكاً، فجذورها ثابتة في الأرض ولا تستطيع الانفصال عنها، أما من الانسان فلا، بل وحتى الحيوانات لا تعتذر بمثل هذا العذر، فهناك عدد كبير من الحيوانات المهاجرة كالطيور وغيرها فبعضها يهاجر اذا برد الجو الى المناطق الحارة وهناك الأسماك البحرية التي تهاجر مرتين في العام، هجرة الشتاء وهجرة الصيف فتتنقل في المحيطات من منطقة الى أخرى قاطعة مئات بل ألوف الكيلومترات، وكذلك الحشرات والجراد التي تهاجر على شكل أسراب كبيرة. اذن فالحيوان يرفض ان يسجن نفسه في بيئته ويقيدها بترابها وصخرها وطينها، بل يهاجر ويهاجر، فما أقبح ان يعتذر الانسان بفساد البيئة تبريراً لظلمه نفسه، وعندما تسألهم الملائكة فيم كنتم لماذا ارتكبتم كل هذه الذنوب فما اقبح ان يكون الجواب: انا كنا نعيش في بيئة فاسدة تنتشر فيها دور السينما، والنساء المتبرجات ومحلات بيع الخمور وأمثال ذلك، كل هذه حجج يدحضها المنطق الملائكي الذي يرد عليهم بـ: «ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها» (النساء:٩٧)، هم يقولون كنا ضعفاء مغلوبين في الجو الذي عشنا فيه، يقولون نحن مسلمون نشهد الشهادتين ولكنا ضعفاء وأسرى يخنقنا المجتمع الفاسد الذي كنا نعيش فيه، وعدونا يسحق باستمرار أفكارنا وعقائدنا، عندئذ يقال لهم: أهذا هو عذركم؟! فاستمعوا اذن للمنطق الإلهي الذي يقول: «ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة» أي انه يصل الى الأرض التي يستطيع منها ان يجاهد أعداء الله، اذا رأيت العدو يحارب عقائدك ومبادئك فحارب أنت أيضا عقائده ومبادئه، أي ان تخوض صراعاً مع أعدائك وهذا هو الجهاد «ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيراً وسعة ومن يخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله».

والتفسير المعنوي لمفهوم الجهاد لايخرج عن قاعدة الصراع آنفة الذكر إلاّ ان العدو الذي يُجاهَدُ في هذه الحالة هو عدو داخلي وهو النفس الامّارة بالسوء، هناك البعض ممن اعتاد الكذب واذا قيل له لا تكذب، يتعجب ويقول: هل هناك من لايكذب؟ فمن المؤكد ان الانسان يضطر أحيانا الى الكذب، ويقال

للآخر: لا تنظر يا أخي الى المرأة الأجنبية! فيستغرب ويقول: وهل يمكن للانسان ان لاينظر؟!، ويقال لثالث.. أخي توجه بقلبك الى الله في الصلاة، ولا تدع ذهنك ينشغل بأمور أخرى، فيقول: ذلك أمر مستحيل، لو كان هذا مستحيلاً لما أمر الله تعالى به، بل أنت لا تراقب ولا تنتبه لنفسك ولاتجاهدها، ولو فعلت لاستطعت ان تؤدى صلاتك بخشوع وبحضور قلب وروح.

را راقب نفسك وجاهدها ستتمكن من السيطرة على ذهنك وخيالك ،فالخيال هو خواطر ذهنية عاجزة على كل حال، ولايمكن لها اقتحام ذهنك لو لم ترد انت ذلك ولو لم تسمح به، ولو راقبت نفسك لتمكنت من السيطرة على أفكارك والحيلولة دون تشتتها ودون شرود الذهن. لماذا يصير الانسان عبداً مسخراً وقد خلقه الله حراً ولم يجعله عبداً لأي مخلوق؟ فالله عز وجل وهب الانسان من الحرية والاستقلال والقدرة، ما يستطيع به ــ لو أراد ــ ان يتحرر من كل شيء بل ويسيطر على كل شيء، لكن ذلك يستلزم إرادة حقيقية وجهاداً وصراعاً حتى مع النفس الأمارة بالسوء وأهوائها وشهواتها وهي عدوه الداخلي، يستلزم ذلك جهاداً مع حب الراحة والدعة وعبودية اللذة، ولاشك بأن من لايخوض هذا الصراع لن يحظى بالقبول والاحترام. لقد وهب الله تبارك وتعالى الانسان نعمة العقل وعليه ان يختار بها أحد طريقين، إمّا مجاهدة النفس الأمارة بالسوء وإخضاعها لحكم العقل السليم ــ وهذا هو طريق التكامل والرقي في درجات الرفعة ــ وإمّا ترك تلك المجاهدة والإنقياد للنفس وأهوائها وبذلك يصبح عبداً لها، أسيراً، ذليلاً تجاه شهواتها وهذا هو طريق الانحدار الى أسفل سافلين، فـ «النفس ان لم تشغلها شغلتك»، هذه هي صفة النفس الأمارة بالسوء، فما لم تسيطر عليها وتخضعها لإرادتك ولعقلك، شغلتك وجعلتك عبداً لأهوائها وشهواتها.

ماذا كانت فلسفة زهد الامام علي(ع) وهجرانه الدنيا والإعراض عنها؟!

ان فلسفتها كانت اطلاق حرية الانسان فيه وإخضاع الأنا به، علي(ع) مثلما كان يأنف من الهزيمة أمام عمرو بن عبد ود ومرحب وأمثالهما كان يأنف بأضعاف مضاعفة من الهزيمة أمام هوى من أهواء النفس ورغبة من رغباتها. يُروى انه(ع) كان ماراً يوماً في السوق من أمام دكان قصاب فأخبره القصاب انه جلب اليوم لحماً طازجاً جيداً وعرض عليه ان يشتري منه شيئاً، فأجابه الإمام علي(ع) بأنه ليس لديه الآن مال، فقال القصاب: اصبر حتى يأتيك المال، فماذا كان جواب

الامام(ع)؟! لقد أجاب: «بل أقول لبطني أنا ان تصبر، ان لم أستطع ان أقول لبطني ان تصبر، سأقول لك أنت ان تصبر حتى ياتيني المال، ولكني سأقول لبطني ان تصبر». أمير المؤمنين يقول متحدثا عن فلسفة زهده: «ولو شئت لاهتديت الطريق الى مصفى هذا العسل ولباب هذا القمح ونسائج هذا القز...».

فعلي(ع) قادر ــ لو شاء ــ على الحصول على أفضل متع الدنيا وأرفه الماديات فهو أعرف بطريق الوصول اليها ولكنه لايفعل. فلماذا؟! يجيب عليه السلام بنفسه على ذلك فيقول:« لاولكن هيهات ان يغلبني هواي...» ثم يخاطب الدنيا بأبلغ الخطاب فيقول:

«اليك عني يا دنيا، فحبلك على غاربك، قد انسللت من مخالبك وأفلت من حبائلك». [٢١] هذا هو الجهاد الحقيقي مع النفس. ان اليوم الحادي عشر من محرم عام واحد وستين للهجرة، كان من أصعب وأقسى الأيام التي مرت بأهل البيت(ع)، ولو نظرنا الى واقعة الطف بكلا جانبيها، الجانب المشرق المملوء بأروع صور الفداء والإباء والصبر في سبيل الله، والجانب المظلم الملطخ بأبشع صور الغدر والخسة والجريمة، لو نظرنا الى هذين الجانبين لتجلّت لنا بوضوح حقيقة الحوار الذي يحكيه القرآن يوم أخبر الله عز وجل عن خلقه الانسان وجعله خليفة له في الأرض: «وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبّح بحمدك ونقدس لك، قال إني أعلم مالا تعلمون». [٢٢]

فجميع مارأته الملائكة في طبيعة الانسان من القدرة على الفساد والانحراف والطغيان ظهرت وصارت واقعاً حياً في يوم كربلاء، ولكن وفي نفس هذا اليوم ظهرت الصفحات المشرقة التي تحمل أسمى صور الفضيلة والرفعة التي لم ترها الملائكة في البشر والتي خاطبهم الحق عز وجل بقوله: «إني أعلم مالا تعلمون»، نعم لقد كانت واقعة الطف ساحة عجيبة حقاً للاختبار، فالمجرمون قد ارتكبوا فيها من الجرائم مايندر وجود مثيل لها في التاريخ أو ينتفي وجودها أصلاً، من تلك الجرائم مثلاً: كانت جريمة ذبح الأطفال أو الفتيان وتقطيع أوصالهم على مر أى من أمهاتهم، وقد عدَّ الذين استشهدوا بهذه الصورة في واقعة الطف فكانوا ثمانية (ثلاثة فتيان و خمسة اطفال) ذبحوا جميعاأمام أعين أمهاتهم و قُطعوا أوصالاً و فُصلت رؤوسهم عن أجسادهم، وكان أحد هؤلاء

الثمانية هوعبدالله بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف بيننا بعلي الأصغر، هذا الطفل الرضيع استشهد أمام خيمة عيال الحسين كما ينص على ذلك أرباب المقاتل ويقولون: ان الامام الحسين نادى أخته زينب وقال لها: «يا أختاه ايتيني بولدي الرضيع حتى أودعه» واثناء ماكان الامام يحتضن طفله الرضيع ويقبّله رماه ابن سعد بسهم فذبحه من الوريد الى الوريد.

والقاسم بن الامام الحسن شهيد آخر من شهداء كربلاء الذين شهدت أمهاتهم استشهادهم بتلك الصورة المفجعة، أمّا أم علي الأكبر «ليلى» فلم تكن في كربلاء أثناء الواقعة رغم شيوع خبر حضورها الواقعة.

وعون بن عبدالله بن جعفر، هوشهيد آخر من شهداء الطف الذين شهدت أمهاتهم مصرعهم بتلك الصورة الفجيعة، فأمه العقيلة زينب شهدت بعينها مصرع ولدها[٢٣]، وهنا نشهد صورة رائعة توضح سمو التربية التي ربيت عليها الحوراء الجليلة زينب(ع) فنحن لانجد في أي من كتب المقاتل المفصلة، ان العقيلة زينب قد ذكرت ولدها بشيء سواء قبل استشهاده أو بعده و كأنها كانت ترى ان ذكرها ولدها بشيء يتنافى مع الأدب الرفيع، أي أنها كانت ترى هذه التضحية أقل من ان تذكر كفداء للامام الحسين، في حين ان العقيلة زينب نفسها خرجت من الخيمة إثر مصرع علي الاكبر وهي تصرخ وا أخيّاه وابن أخياه وهذا مالم تفعله عند مصرع ولدها عون.

وشهيد آخر من أهل البيت(ع) لاأتذكر اسمه الآن، كان في العاشرة من عمره قد قتل أيضا بتلك الصورة المؤلمة، يذكر أرباب المقاتل ان هذا الصبي، خرج من الخيمة بعد مصرع الامام الحسين مبهوتاً مدهوشاً من تغير الأوضاع، وحينما كان يجيل النظر هنا وهناك في حيرة ودهشة جاءه رجل من معسكر الأعداء وذبحه وقطع رأسه وانتزع قرطين كانا في أذنيه وحدث ذلك على مرأى من والدته التي خرجت تبحث عنه.

وصبي آخر استشهد أيضا يوم الطف بنفس الصورة وما أفجعها من شهادة، شهادة عبد الله بن الإمام الحسن المجتبى(ع) وهو صبي لم يتجاوز العاشرة وعندما توفي والده الإمام الحسن(ع) كان في رحم أمه أو طفلاً رضيعاً على أكثر تقدير، وهو لم ير والده على أي حال. لذلك فقد تربى وترعرع في رعاية عمه الحسين(ع) والذي أصبح بالنسبة له عماً وأباً في آن واحد، ولذلك كان يحبه

كثيراً، في يوم عاشوراء خرج عبد الله من الخيمة رغم ان الإمام الحسين كان قد أمر عياله ان لا يخرج أيٌّ منهم من الخيام، وكان أمره(ع) مطاعاً، اِلّا ان هذا الصبي لم يطق الصبر على البقاء في الخيمة بعد ان سقط أبو عبد الله على الأرض وفقد القدرة على الحركة، لذلك خرج من الخيمة متوجهاً نحو عمه بعد ان أفلت من يد عمته زينب التي أسرعت الى منعه من الخروج، وصرخ «والله لاأفارق عمي»، ووصل الى عمه والقى بنفسه على صدره، ـــوسبحان الله ما أعظم صبر الحسين الذي ضم هذا الطفل الى صدره ــ وفي غضون ذلك أغار أحد الأعداء على الحسين(ع) قاصداً طعنه بسيفه فصرخ به الطفل «يا ابن الخبيثة، أتقتل عمي» فرفع الصبي يده ليمنع بها سيف هذا الوغد من ان يصيب الإمام، فأصاب السيف يده فقطعها فصرخ الطفل «يا عماه أدركني». ضم الإمام ابن أخيه الى صدره وقال له: «ياابن أخي إصبر على ما نزل بك فان الله يلحقك بآبائك الطاهرين الصالحين، برسول الله وعلي وحمزة وجعفر والحسن».

اللّهم نور قلوبنا بنور الايمان واملأها حباً لك و حباً لأوليائك.

اللّهم وزدنا ايمانا وثبت قلوبنا على دينك.

اللّهم واشف مرضى المؤمنين شفاء عاجلاً وتفضل على أمواتنا بالمغفرة والرحمة.

اللّهم وتقبل بفضلك أعمالنا وأعمال كل من يسعى بجهده وبما استطاع لاقامة مجالس العزاء على أبي عبد الله الحسين ويعظم شعائر الله ويبلغ أحكامك.

اللّهم وارزقنا بفضلك خير الدنيا والآخرة.

ولاحول ولاقوة إلاّ بالله العلي العظيم

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

المحاضرة الثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين بارئ الخلائق أجمعين والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله وحبيبه وصفيه وحافظ سره ومبلغ رسالا ته سيدنا ونبينا ومولانا أبي القاسم محمد(ص) وآله الطيبين الطاهرين المعصومين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، قال تعالى:

«ومن يخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله...» (النساء: ١٠٠)

من المواضيع التي اهتم بها القرآن الكريم كثيراً وحظيت باهتمام خاص في الفقه الاسلامي، هو موضوع الهجرة.والهجرة تقتصر ــ في اعتقاد معظمنا ــ على حادثة تاريخية خاصة وقعت في فجر الاسلام، وهي هجرة الرسول الأعظم(ص) وأصحابه من مكة الى المدينة وبها كانت بداية التاريخ الهجري.

ولاشك بأن لهذه الحادثة أهمية كبرى ولها قيمة تأريخية كبرى ولها أكبر الأثر في تاريخ الاسلام وتطوره، ولكن سؤالنا هنا هو: «هل ان مصداق الهجرة ينحصر في هذه الحادثة»؟! وهل ان جميع ماذكره القرآن الكريم بشأن الهجرة واعتباره المهاجرين في درجة المجاهدين وذكره الهجرة مع الجهاد دائما كقوله تعالى: «والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله» (الانفال: ٧٤) هل ان كل ذلك يتعلق بتلك الحادثة التاريخية الخاصة، ولم يعد لها مصداق عملي بعد تلك الحادثة؟ هل ان هذا هو حال الهجرة، أم انها مثل الايمان والجهاد لايحدها زمان خاص

ولامكان خاصين؟ لاشك في ان الهجرة هي كالجهاد والايمان لايمكن ان تنحصر مصاديقها بالعصر الأول للاسلام، وما اطلق عليه في ذلك العصر من وصف الهجرة هو كالجهاد في ذلك العصر فكلاهما من مصاديق الهجرة والجهاد وهما حكمان عامان ثابتان لايختصان بعصر معين، ان الإمام علياً(ع) يتناول هذا المفهوم في كلماته المدونة في نهج البلاغة فيقول(ع) صراحة: «الهجرة على حد الاول»،[٢٤] أي ان الهجرة لاتختص بزمان ولامكان معيَّنين بل انه وكما ان النبي الاكرم(ص)، هاجر من مكة الى المدينة اذن فواجب الآخرين ان يقتدوا به(ص)، وأن يهاجروا ــ اذا اقتضت الظروف الموضوعية ذلك طبعا ــ، واستناداً الى النص المتقدم عن أمير المؤمنين(ع)، فنحن لانستطيع القول بعدم وجود مصداق عملي للهجرة بعد عصر النبي الأكرم(ص).

والآن لنتعرف على معنى الهجرة ماهو؟. الهجرة تعني ــ كما تقدم ــ ترك الديار والأهل والأصدقاء والتغرب عن الأوطان من أجل الحفاظ على الايمان والدين، و واضح من التعريف ان مفهوماً كهذا لايمكن حصرُ مصاديقه في زمان ومكان معينين، وهذه هي وجهة نظر الاسلام تجاه مفهوم الهجرة، وطبيعي ان الهجرة تكون واجبة عند تحقق شروط معينة، وهذه الشروط يمكن استخلاصها من التعريف المتقدم لمفهوم الهجرة، فعندما يكون تعريف الهجرة هو ترك الأهل والديار من أجل حفظ الايمان والدين من الضياع فهذا يعني ان الهجرة تجب عندما يصبح ديننا وايماننا في خطر، وعندما يصبح الخيار بين أمرين هما: إما فقدان الدين والايمان، وامّا ترك الديار والهجرة، أي انه إمّا ان نختار البقاء في ديارنا و نتخلى بذلك عن ديننا وايماننا، واما ان نتخلى عن وطننا وديارنا وأهلينا ونتغرب من أجل إنقاذ ديننا، وفي هذه الظروف يوجب الاسلام على أتباعه الهجرة إنقاذاً لدينهم من الضياع.

في القرآن الكريم آية تناقش عذر «ظروف البيئة القاهرة» الذي يحتج به أكثرنا لتبرير الكثير من انحرافاتنا عن مبادئ الاسلام و أحكامه، فعندما تقول لهذا: لماذا ترتكب المعصية الفلانية؟ أو تقول لتلك: لماذا تتبرجين؟ فالجواب المتوقع من كليهما هو: ان ظروف مجتمعنا هي التي تفرض ذلك، واذا قيل لذاك: لماذا تشارك في المجالس التي يرتكب فيها الحرام ــ والاشتراك محرم شرعاً ــ أو تسأله لماذا لا تتحرج مثلا من الجلوس الى موائد الخمر والجلوس اليها حرام حتى ولو

كان لأجل تناول خبز حلال؟ فالجواب المتوقع عن مثل هذا التساؤل، هو ان ظروف المجتمع تجبرنا على ذلك، فماذا نفعل ومجتمعنا منحرف وقد تفشّى فيه الفساد، نعم فالتحجج بالظروف القاهرة أصبح عذراً للكثير من الناس يبررون به أخطاءهم وذنوبهم. وهذا عذر يرفضه الاسلام جملة وتفصيلاً، فالاسلام يحدد لنا موقفاً واضحاً وصريحاً تجاه المجتمع الفاسد فيؤكد ان التكليف الشرعي للفرد المسلم بالدرجة الأولى هو العمل من أجل تحويل ذلك المجتمع الفاسد الى مجتمع مؤهل للعيش وفق النظرية الاسلامية، واذا فرضنا اننا كنا نعيش في مجتمع فاسد بالدرجة التي يستحيل معها تحويله الى مجتمع اسلامي، وأحسسنا ان بقاءنا فيه يترك آثاراً سلبية على ديننا و دين أبنائنا وعوائلنا وأجيالنا القادمة، فاذا كان الحال كذلك فالاسلام يحدد لنا موقفا آخر هو الهجرة من هذا المجتمع والذهاب الى مكان آخر نستطيع فيه الحفاظ على ايماننا وديننا.

ونلاحظ هنا ان الهجرة قد لا تستلزم الانتقال من مدينة الى مدينة او من بلد الى آخر، بل ان الهجرة قد تصدق على الانتقال من منطقة الى أخرى في نفس المدينة وهذا ما يمكن أن يحدث في المدن الكبرى ــ كطهران مثلاً ــ حيث تجد فيها بعض المناطق التي تتمتع بجوٍّ إسلامي يمكن لأطفالنا فيه ان يتربوا تربية اسلامية سليمة، كما تجد فيها مناطق أخرى لا تتمتع بالأجواء الاسلامية المطلوبة، فكثير من الأفراد الذين نشأوا في منطقة أو محلة تتوافر فيها الأجواء الاسلامية النقية، ثم انتقلوا الى محلة أو منطقة أخرى من المدينة نفسها قد يواجهون فيها بفقدان أبسط مظاهر الحياة الاسلامية، فلا تقع أعين الزوجة والأطفال على أيّ من المظاهر الاسلامية، فلا مسجد ولامصلين ولامجالس لتعليم القرآن والوعظ والارشاد، بل ولايسمع فيها اسم الله والاسلام أصلاً، وربما أكثر من ذلك، فقد تقع عيناك في الصباح على رجل يخرج بسيارته وبصحبته كلبه المدلل، وتعلو من المذياع الموجود فيها أصوات الغناء واللعب واللهو.

ومن الممكن والحال هذه، ان الأجواء غير الاسلامية هذه، قد لا تؤثر على الكبار الذين تربوا في أجواء اسلامية واكتسبوا حصانة من الانحراف، أو اذا أثّرتْ في هؤلاء كان أثرها طفيفاً، لكن ماذا سيكون مستوى تأثيرها على الأطفال الذين لم يتجاوز عمر أحدهم العامين مثلا؟ هؤلاء سيفتحون أعينهم على أجواء ملوثة بالانحراف كهذه، لذلك فمن المؤكد ان مثل هؤلاء الأطفال لن يخرجوا من هذه

الأجواء فتية مسلمين حقاً.

وهنا يطرح هذا السؤال: ماهو التكليف الشرعي الذي يحدده الاسلام لمثل هذه الحالة؟! الجواب هو: في البداية يجب السعي لتحويل تلك الأجواء الى أجواء اسلامية، فمثلا: اذا لم يكن في تلك المنطقة مسجد، فيجب العمل على إنشاء مسجد فيها، والمسجد وحده ليس كافياً بالطبع وان كان وجوده مهما إلاّ أنه يحتاج الى ان تعقد فيه مجالس الوعظ والارشاد ومجالس قراءة القرآن والأدعية وما الى ذلك، ومن ينجز هذه المهمة فلن يكون قد أدى واجبه ولم يتخلف عنه وحسب بل وأصبح من الدعاة للاسلام وناشري مبادئه والمبلغين له، ولكن اذاكان من المستحيل انجاز هذه المهمة، فماذا يكون واجبنا الشرعي؟! هنا يأمرنا الاسلام بالهجرة ويرفض ان نبقى في تلك الأجواء الفاسدة التي تؤثر تأثيراً سلبياً على ايماننا وايمان أهلينا، والمنطق القرآني يرفض ان نعتذر لضياع ديننا في هذه الأجواء بعذر الظروف القاهرة للجو الذي نعيشه وهذا الموقف هو ماتحدده الآية القرآنية: «ان الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها».

الآية الكريمة تتحدث عن تلك الطائفة من الناس التي تجد الملائكة صحائفهم سوداً مملوءة بالذنوب والمعاصي وظلم النفس، فتسألهم فيم كنتم؟ لِماذا صارت صحائف أعمالكم سوداً بهذه الصورة المخجلة؟ فيرددون نفس الأعذار التي كانوا يرددونها في الدنيا، ويتوهمون أنها تصلح للاعتذار «كنا مستضعفين في الأرض»، كنا نعيش في أجواء فاسدة، نفتقر فيها الى العلم والمعرفة، والعالم المعلم والمربي، فلم نستطع التعرف على الاسلام ومبادئه ولم يوجهنا أحد. هذه هي الأعذار التي يعتذرون بها، فهل تقبلها منهم ملائكة الله وتقول لهم: حسناً أنتم معذورون فلن يعذبكم الله على ما أسرفتم على أنفسكم، فالذنب ليس ذنبكم بل هو ذنب الأجواء المنحرفة التي عشتم فيها؟! كلا ليس هذا هو المنطق الملائكي، بل ان الملائكة ترفض تلك الأعذار جميعا وتدحضها وتتلو قول الله تعالى: «ألم تكن أرض الله واسعةً فتهاجروا فيها». الذنب ذنبكم أنتم لأنكم سجنتم أنفسكم في تلك الأجواء الفاسدة، فليست جميع أرجاء الدنيا مثل الأجواء التي عشتم فيها، بل كانت في الأرض مناطق تتمتع بأجواء طيبة صالحة، فلماذا لم تهاجروا اليها؟!

وحصيلة ما تقدم هي ان الاسلام يولي موضوع الهجرة ـــ بمعنى ترك الأهل

والديار المحببة للنفس، من أجل حفظ الدين والايمان من الضياع ــ أهمية خاصة، ويعتبر هذا الحكم حكماً ثابتاً وركناً من أركانه الأساس ذلك الركن الذي لايحدّه زمان ولامكان، فلم ينسخ ولم يختص بمهاجري الصدر الأول للاسلام.

لكن البعض تطرف في فهم معنى الهجرة هذا، الذي تحدثت عنه الآية الكريمة المتقدمة، وطرح له تفسيراً خاطئاً يناقض ما تهدف إليه الآية، فقال: ان الآية تقول: «ومن يخرج من بيتة مهاجراً الى الله ورسوله»، أي أنها ذكرت المكان الذي تبدأ منه الهجرة ولم تذكر المكان الذي يقصده المهاجر بل ذكرت « الله ورسوله» مقصداً للمهاجر وهو مقصد معنوي لامادي أي يتعلق بقلب الانسان وروحه لاجسده إذن تكون النتيجة ان الهجرة المقصودة من الآية هي هجرة معنوية تتعلق بقلب الانسان، وتعني ان يطوي الانسان درجات الاخلاص والكمال في سيره نحو الله عز وجل والتقرب منه تعالى، وهذه الهجرة، لا تستلزم ترك الديار والأهل، بل ان الانسان يستطيع ان يحقق مصداقها وهو جالس في بيته الدافئ، وذلك بأن يجاهد نفسه ويهذبها ويتقرب الى الله عز وجل بتطهير باطنه وبالالتزام بالصلاة والصيام والدعاء وباقي العبادات التي تقربه من الله سبحانه. و اذا طرح السؤال عن الهدف من هذه الهجرة كان الجواب هو الله والقرب منه، ولأجله يهذب الانسان نفسه ويجاهدها بالدعاء والعبادة والذكر لا بالسفر وقطع المسافات و ترك الديار، اذن فالآية تقصد من البيت الذي تدعو العبد لأن يهجره ليس البيت بالمعنى المتعارف عليه، بل ان ما تقصده هو بيت النفس وحدود الأنا، فيكون تفسير الآية هو على الوجه التالي: ان كل من يخرج من أسر نفسه وحدود الأنا ويهاجر نحو الله فقد وقع أجره على الله، وهذا بالطبع فهم خاطئ وتفسير قاصر للآية الكريمة.

فالقرآن الكريم ذكر في هذه الآية كلتا الهجرتين معاً، وهذا هو نموذج من نماذج الاعجاز في البلاغة القرآنية، فالبيت الذي يذكره القرآن مبدأ للهجرة هو نفس البيت المتعارف عليه والمبني من الطين أو الحجر، لكن القرآن يقول مامعناه : يامن تهاجر عن ديارك ووطنك ــ سواء كان من محلة الى أخرى أو من مدينة الى أخرى أو من بلد الى آخر ــ عليك ان تعرف الهدف الذي تهاجر من أجله، هذا الهدف يجب ان يكون هوالله عز وجل والله وحده لاغير، فلتكن هجرتك لله وحده، وإلاّ فلن تكون لها أية قيمة معنوية حتى لو هاجرت من أقصى الدنيا الى أقصاها،

وأعرضت عن ديارك و أهلك وعن كل ما تملك ورضيت بالعري والفقر، وهذا هو المنطق القرآني الذي يؤكده الرسول الأكرم(ص) بقوله: «من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله، ومن كانت هجرته الى مال يناله أو امرأة يصيبها، فهجرته الى ماهاجر اليه» (صحيح البخاري ج ١ص ٢٢).

فالرسول(ص) يقول: أنا أريد المهاجر ولكن أي مهاجر؟! أريد المهاجر المخلص لله في هجرته، فلست أريد أن تأتي مجموعة من الناس من مكة أومن مدن أخرى الى دار الهجرة «المدينة المنوَّرة» بل أريد منهم ان تكون هجرتهم خالصة لله وفي الله وحده، وإلاّ فلن تكون لها أيُّ قيمة، وهذا الحكم ينطبق أيضا على مفهوم الجهاد الاسلامي ايضا، فليس المهم في الجهاد الاسلامي ان يشهر المرء سيفه ويحارب أعداء الاسلام، بل المهم ان يكون ذلك من أجل الله وطلبا لرضاه تعالى، ومن الممكن ان يوجد في صفوف المسلمين مقاتلٌ قد يبدو أكثر حماسا و بطولة من الآخرين وأكثر تعرضاً للأذى والمصاعب، ولكن لو فتحت قلبه واطلعت على مافيه لوجدت ان عمله هذا هو من أجل السمعة والفخر وكي يشيع اسمه بين الناس، وتطبع صورته وتوزع، ويذكره التاريخ بالثناء، وماشابه ذلك من الأهداف المادية، والتصورات المنحرفة كأن يفكر البعض بأن من المحتمل ان لانقتل في الحرب، وبذلك سنعدّ من الأبطال وهذا سيفتح أمامنا الطريق نحو الجاه والثراء الواسع والزواج من العديد من النساء الحسان، وبالتالي نجمع الدنيا والآخرة معا، فنحن قد ذهبنا الى الحرب وشاركنا في الجهاد في سبيل الله، وفي نفس الوقت حصلنا على الدنيا أيضا، هذه الصور كلها لا تعتبر جهاداً في سبيل الله، وبالطبع قد يحصل الانسان على الدنيا بالجهاد في سبيل الله ولكن بشرط ان لا تكون الدنيا هي دافعه نحو الجهاد.»في معركة أحد أو معركة أخرى، ذكر لرسول الله(ص) رجل من أصحابه (يقال له قزمان) بحسن معونته لاخوانه، واثنى عليه بأنه أبلى بلاء حسناً وقاتل قتالاً شديداً، فلم يعتن الرسول(ص) بقوله وكان إذا ذكر عنده قال(ص) هو من أهل النار ثم جاءوا الى الرسول(ص) فقالوا يا رسول الله، لقد استشهد قزمان، فقال(ص): يفعل الله مايشاء، ثم جاءوا الى الرسول(ص) بعد ذلك وقالوا: ان قزمان قتل نفسه «انتحر» فقال(ص): أشهد اني رسول الله، وكان قزمان قد قاتل قتالاً شديداً وقتل من المشركين ستة أو سبعة فاثخنته الجراح، فاحتمل الى دور بني ظفر، فقال له المسلمون: أبشر ياقزمان أبليت اليوم بلاء حسناً،

فقال: بم تبشرونني فوالله ما قاتلت إلاّ عن أحساب قومي، ولولا ذلك ماقاتلت فلما اشتدت عليه الجراح جاء الى كنانته ـــ الحقيبة التي توضع فيها السهام ـــ فأخذ منها سهما فقتل به نفسه» (الرواية في سيرة ابن هشام ج٢ ص٨٨).

وبعد ان سمع الناس بما جرى لقزمان، فهموا سر عدم اهتمام الرسول(ص) به، ولماذا لم يعبأ بالمدح الذي كانوا يكيلونه لهذا الرجل، وعرفوا ان الجهاد يجب ان يكون لله ولله فقط، وان الهجرة يجب ان تكون لله ولله فقط، أي ان الهجرة «بمعنى الهجرة من الديار والتغرب» يجب ان تكون توأم السفر الى الله والتقرب اليه عز وجل، أي ان يكون الانسان مهاجراً وعارفاً وسالكاً الى الله في آن واحد فكلتا الهجرتين يريدهما الاسلام، والآية الكريمة تذكرهما كلتيهما معا «ومن يخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله».

هذه الآية تتحدث عن كلتا الهجرتين وتريدهما معاً، فهي تريد ان يهاجر الانسان هجرتين هجرة بجسمه وأخرى بروحه، فجسمه يهاجر من بلد الى آخر وروحه تهاجر من مرحلة الأنانية وعبادة الأنا الى مرحلة الإخلاص لله تعالى، ومهاجر كهذا هو الذي يعده الله تعالى بالحسنى فيقول «فقد وقع أجره على الله». وما أبلغ هذا الوصف! فهو يعني ان أجر هذا المهاجر أعظم من ان تدركه عقولنا، وأكبر من ان تصوره وتوضح مقداره الكلمات والحروف.

وقد ورد في تفسير هذه الآية، تعميم لها مناسب جداً ومنسجم مع روحها وربما ورد هذا التعميم في حديث شريف لايحضرني الآن، والتعميم هذا يبين أنَّ أفضل نموذج للمهاجر في سبيل الله الذي تذكره الآية الكريمة، هو طالب العلم، الذي يهجر وطنه وأهله ويذهب الى بلد آخر لتعلم العلوم الاسلامية، وهدفه من ذلك هو إرشاد الناس وهدايتهم وإحياء الايمان ونشر أحكام الله لا الشهرة والسمعة والفخر والتعالي على الآخرين والحصول على الجاه والمال. طالب علم كهذا هومهاجرفي سبيل الله مادام هدفه من الهجرة وطلب العلم والمعرفة، هوالله عزّوجلَّ، ومن جل سد حاجة الاسلام والمسلمين. ولايقتصر هذا الحكم على من يهاجر طلباً للعلوم الدينية، بل ويشمل أيضا من يهاجر لطلب العلوم الأخرى «كالطب والهندسة وغيرهما» شريطة ان يكون هدفه من ذلك هوأداء الواجب الشرعي

الكفائي، فمثلا يهاجر لتعلم الطب إحساسا منه بحاجة المجتمع الى أطباء مسلمين، وأداء للواجب الكفائي المتعين على المسلمين لسد هذا النقص، فطالب كهذا يعتبر مهاجراً في سبيل الله اذا كان هذا هو هدفه لا جمع المال أو الحصول على لقب دكتور والزهو والتعالي بهذا اللقب، «ومن يخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله»، وهؤلاء اذا أدركهم الموت وهم في دار الهجرة فقد وقع أجرهم على الله كما تنص على ذلك الآية الكريمة وهم الإخوة الصغار الشهداء، لأن المهاجر هو الأخ الصغير للمجاهد.

وكما أشرنا فيما سبق، فالقرآن الكريم يقرن عادة المهاجر بالمجاهد ويذكرهما معا، والآن نطرح السؤال التالي: «متى يصدق على المرء كلا الوصفين معا، أي وصفا المهاجر والمجاهد؟» والجواب: ان ذلك يصدق على من يهاجر في سبيل الله ويكون هدفه من الهجرة هو إنقاذ الدين وايمان المجتمع ككل وبذلك تنطبق عليه الآية الكريمة «ومن يخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله».

وكذلك تنطبق عليه جميع الآيات التي تتحدث عن الجهاد مثل قوله تعالى: «ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن».

والامام الحسين(ع) هو أوضح المصاديق للمهاجر المجاهد، فهو(ع) قد هجر بيته ووطنه وجاهد في الله حق جهاده، إنقاذاً للاسلام من التحريف ولإيمان الأمة الاسلامية من الضياع والإندراس، وموسى بن عمران(ع) كان مهاجراً في سبيل الله أيضاً إذ ترك وطنه مصر وذهب الى مدين، لكنه كان في ذلك مهاجراً وحسب، وكذلك كان حال إبراهيم الخليل(ع) «إني ذاهب الى ربي سيهدين» إذ انه(ع) ترك وطنه برغبته وهاجر، أما الذي امتاز به سيد الشهداء(ع) فهو انه كان في هجرته مهاجراً ومجاهداً في آن واحد.

ان مهاجري صدر الاسلام، كانوا مهاجرين وحسب ولم يكونوا مجاهدين قبل صدور الأمر الإآلهي بالجهاد، وبعد صدور الأمر الإآلهي هذا انطبق على من جاهد منهم وصف المجاهدين أيضاً، أما الذي كان منذ بداية هجرته مهاجراً ومجاهداً في آن واحد فهو الامام الحسين(ع) وقد وقع أجره على الله.

وفي عالم الرؤيا أخبر الرسول الأعظم(ص) سبطه الحسين(ع) ان الله

تعالى أعدّ له درجة لن ينالها إلاّ بالشهادة قتلاً في سبيله، وهذا ما كان. «ان لك منزلة عند الله لا تنالها إلاّ بالشهادة».

الامام الحسين(ع) قضى ثلاثة وعشرين يوماً في الهجرة ــ من اليوم الذي خرج فيه من مكة في الثامن من ذي الحجة الى يوم وصوله أرض كربلاء وحطه رحاله فيها ــ، وعند خروجه من مكة خطب في الناس خطبة أشار فيها الى هجرته وجهاده وذكرهما معا فقال(ع): «خُطَّ الموتُ على ولد آدم مَخَطَّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني الى أسلافي، اشتياق يعقوب الى يوسف».

أبو الأحرار(ع) يقول مامعناه: اني لاأخاف الموت، والشهادة في سبيل الله والايمان فخر للانسان وهي تاج يوضع على رأس الرجل زينة له كما ان القلادة زينة للفتاة، واني لمَشتاق الى أسلافي الذين سبقوني في هذا الطريق كاشتياق يعقوب الى ولده الحبيب يوسف، ثم يستطرد سيد الشهداء ليخبر الناس بمصرعه وكيفية شهادته فيقول(ع):

«وخِيرَ لي مصرع أنا لاقيه، وكأني بأوصالي تتقطعها عسلان الفلوات بين النواويس و كربلا»، ويتحدث أبو الأحرار ــ بعد ان يشرح صورة مصرعه ــ عن ذوبانه وباقي أهل بيت النبي، في الله عز وجل بحيث أصبح حبهم حُبَّ الله وغضبهم غضب الله ورضاهم رضا الله، فيقول(ع): «رضا الله رضانا أهل البيت نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين» فما أحبه عزوجل أحببناه، وما رضيه لنا رضينا به، إنْ أحبَّ لنا السلامة والعافية أحببناها، وان أراد لنا البلاء والمرض، أحببناهما، وان أحب لنا الصمت، أحببناه، وان أحب لنا الكلام والحديث أحببناه، وان أحب لنا السكون أحببناه وان أحب لنا التحركِ والقيام أحببناهما.

و بعد ان تحدث عن جهاده وشهادته ختم خطبته باعلان الهجرة في سبيل الله تعالى ودعا من يريد الله الى اللحوق به والهجرة معه(ع) شريطة ان يكون مستعداً للجهاد ولإهداء قلبه ودمه لله عز وجل وان يكون حاله كحال الامام الحسين(ع): «فمن كان باذلاً فينا مهجته موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا، فإني راحل مصبحاً ان شاء الله».

صحبت الامام الحسين في البداية جموع كثيرة من الناس، كان لايزال فيهم من يظن ان في خطبة الحسين(ع) بعض المبالغة بشأن مصيره عليه السلام ومصير أصحابه، وان هناك أملاً في النجاة، كما التحقت به(ع) في الطريق جموع

أخرى، أما الامام(ع) الذي اشترط على من يصحبه ان يكون: «باذلاً فينا مهجته موطّناً على لقاء الله نفسه»، فانه لم يرد ان يكون في صحبه بعض الضعاف غير المستعدين للشهادة في سبيل الله، لذلك كان يخطب بالناس في مواقع متعددة من الطريق مؤكداً لهم المصير الذي سيلقاه وصحبه مستهدفاً من ذلك غربلتهم واخراج غير الأكفاء لتلك المهمة الصعبةَ، ولكي لايبقى معه إلاّ الذي امتحن الله قلبه للايمان فكان مخلصاً متفانيا لله ذائباً في إرادته تعالى. وفي النهاية لم يبق معه(ع) إلاّ الأنصار المخلصون الذين شهد لهم عليه السلام نفسه بالبر والوفاء فقال: «لاأعلم أصحاباً أولى ولا خيراً من أصحابي» وهذه الشهادة تعني ان الامام(ع) يخاطب أصحابه بان لو خيرت بينكم وبين أصحاب الرسول(ص) في بدر لاخترتكم عليهم، ولو خيرت بينكم وبين أصحاب علي(ع) في صفين لاخترتكم عليهم، فانتم سادة الشهداء وتاج رؤوس جميع الشهداء.

وفي ليلة العاشر من المحرم أذن الامام الحسين(ع) لأصحابه ان ينصرفوا عنه ويتخذوا الليل جنة، وخاطبهم قائلاً: «ألا وإني أظن يومنا من هؤلاء غداً واني أذنت لكم، فانطلقوا جميعا في حِل ليس عليكم منّي ذمام، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي، فجزاكم الله جميعاً خيراً، وتفرقوا في سوادكم ومدائنكم فان القوم انما يطلبونني، ولو أصابوني لذهلوا عن طلب غيري، حسبكم من القتل بمسلم، اذهبوا قد اذنت لكم». وكان هذا آخر اختبار إمتحن به الامام(ع) صِدق أصحابه واخلاصهم، فهو قد أحلّهم من بيعته ـ أي أسقط عنهم التكليف الشرعي بوجوب نصرته ـ وطمأنهم من العدو الذي لو أصابه هو(ع) وهو ما يريده العدو لذهل عن أصحابه؛ فماذا كان جواب أولئك الأنصار؟! لقد رفضوا جميعا ترك الحسين وأعلنوا إصرارهم جميعا على الموت دونه وكان أول من أعلن الموقف الوفي والشجاع أخوه أبو الفضل العباس الذي قال: «لا أرانا الله ذلك أبداً» فما أعظم السرور الذي أدخله على قلب الحسين(ع) جواب أخيه وباقي الأنصار! اذ رآهم يشاركونه الهدف والتفكير والعقيدة والعزم، وعندما رأى الحسين(ع) هذا الموقف الصلب من أصحابه شرع في تبيان ماسيجري عليهم غداً فقال عليه السلام: «إني غداً أقتل وكلكم تقتلون معي ولن يبقى منكم أحد حتى القاسم وعبد الله الرضيع».

أبو عبد الله الحسين(ع) منح أصحابه يوم العاشر من المحرم وساماً وفخراً

وشهادة بقي ويبقى ذكرها خالداً على مر التاريخ، في تلك اللحظات الأخيرة من واقعة الطف ومن حياته عليه السلام وبعد ان استشهد جميع أنصاره وأهل بيتة ولم يبق من رجل إلاّ زين العابدين وهو عليل يكابد آلام المرض، في تلك اللحظات والامامَ الحسين(ع) وحيد بين كثرة الأعداء، واقف يدير البصر هنا وهناك فلايرى من ناصر ولا معين، لايرى إلاّ الأجساد المتناثرة هنا وهناك على الثرى، في تلك اللحظات قال الامام(ع) جملة مفادها هو: اني لاأرى على هذه الأرض حياً سوى تلك الأجساد المقطعة إرباً إرباً. مشيراً الى أجساد أصحابه!! هؤلاء الذين تتناثر أجسادهم على الثرى يراهم سبط النبي هم و هم فقط الأحياء الذين يمكن ان يستنصرهم ويستصرخهم ويطلب العون منهم والغوث، فمن هؤلاء الذين يعتبرهم الحسين(ع) لوحدهم الأحياء دون غيرهم؟!

هؤلاء هم أنصاره الذين كانت أوصالهم تتناثر على صعيد كربلاء، ورغم ذلك يراهم الحسين(ع) أحياء فيستصرخهم ويقول: «يا أبطال الصفا ويافرسان الهيجاء قوموا عن نومتكم بني الكرام، وادفعوا عن حرم الرسول الطغاةَ اللئام».

أبو عبد الله المظلوم الغريب يستنهض تلك الأجساد ويدعوها للقيام والذب عن حرم الرسول فقد هجم عليها أهل الغدر واللؤم والكفر... ثم يجيب الامام عليه السلام نيابة عنهم معتذراً لهم، فأنّى لهم الجواب، وقد فصل بين رؤوسهم وأجسادهم.

ولاحول ولاقوة إلاّ بالله العلي العظيم

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

(١) عندما فتحت الجارية الباب كانت اصوات الغناء والعربدة تصل الى الشارع من داخل دار بشر وسمعها الامام.

(٢) وسائل الشيعة، ج ١١ صفحه ١٢٤ الطبعة الحديثة نقلا عن المجازات النبوية عن الرسول(ص) قال: «الحديث».

(٣) نهج البلاغة، وللامام علي(ع) حكمة بالغة توضح هذا المعنى اذ يقول عليه السلام: «ما ظفر من ظفر الاثم به، والغالب بالشر مغلوب». نهج البلاغة ص ٥٣٣ ط. بيروت بفهرسة د. صبحي الصالح الحكمة رقم ٣٢٧.

(٤) ومما يؤسف له ان هذه المعنويات فقدت بين رياضيِّي هذا العصر، في السابق كان الرياضيون يرون في الإمام علي(ع) النموذج الأكمل للبطل، لأنه(ع) كان بطلاً على كلا الجبهتين، جبهة الصراع مع أعداء الله في ميادين الحرب، وجبهة الصراع مع النفس الأمارة بالسوء وأهوائها.

القوة الحقيقية والبطولة المثلى لايمكن ان تحقق الاّ اذا تحرر الانسان من عبودية الهوى والشهوة، أي ان البطل والشجاع حقا من لايتصدى لأعراض الناس، لأن روح الشجاعة الحقة تمنعه من ذلك، وهو لايزني لأن روح الشجاعة والبطولة لا تسمح له بذلك، وهو لايشرب الخمر لأن روح الشجاعة ترفض ذلك.

والبطل والقوي والشجاع، لايكذب، فالشجاعة تأبى ان تكون حليف الكاذب، والشجاع لايتملق فالملق ضدٌ للشجاعة والقوة،

فالبطل الحقيقي، ليس ذلك الذي يقدر على رفع ثقل كبير أو صخرة ضخمة بل الأهم هو ان يقدر على هوى نفسه وينتصر عليها.

(٥) وسبب تسميته بهذا الاسم هو انه كان مقبلا في ركب من قريش حتى اذا وصلوا الى وادي يليل ــ وهو واد قريب من بدر ــ تعرضت لهم بنو بكر في عدد من الفرسان، فقال عمرو بن عبد ود لأصحابه: أمضوا، فمضوا، وتصدى وحده لبني بكر ومنعهم من ان يصلوا اليه فعرف بذلك «عن الميزان مج ١٦ ص ٢٩٧ في تفسير سورة الأحزاب».

(٦) الرواية التي وجدناها ينقلها المجلسي في البحار ج ٤١ ص ٥١ طبعة بيروت الحديثة. وفيها: «انه لما أدرك عمرو بن عبد ود، لم يضربه، فوقعوا في علي(ع) ــ ويقصد ان اصحاب الرسول(ص) انتقدوا عليا بسبب تركه الاجهاز على عمرو ــ فرد عنه حذيفة فقال النبي(ص): مه يا حذيفة فان عليا سيذكر سبب وقفته، ثم انه ضربه ــ أي ان الامام قتل عَمراً ــ فلما عاد(ع)، سأله النبي عن ذلك ــ التاخير في قتل عمرو ــ فقال(ع) «قد كان ــ عمرو ــ شتم أمي وتفل في وجهي، فخشيت ان أضربه لحظ نفسي ــ غضبا لها ــ فتركته حتى سكن ما بي ثم قتلته في الله»».

(٧) الرواية التي وجدنا في نهج البلاغة تذكر ان هذا الحوار حدث أثناء عودة الامام من البصرة بعد ان نصره الله على اصحاب الجمل لا بعد عودته من صفين كما ذكر الأستاذ الشهيد ونحن

اذ ذكرنا الترجمة التوضيحية للنص كما ذكرها الشيخ الشهيد، نثبت هذا النص الذي وجدناه في النهج: ومن كلام له عليه السلام:

«لما أظفره الله بأصحاب الجمل، وقد قال له بعض أصحابه: وددت ان أخي فلانا كان شاهدنا ليرى ما نصرك الله به على أعدائك» فقال له عليه السلام:

«أهوىٰ أخيك معنا؟ فقال: نعم، قال(ع): فقد شهدنا، ولقد شهدنا في عسكرنا هذا أقوام في أصلاب الرجال وأرحام النساء، سيرعف ـ يجود بهم عن غير انتظار ـ بهم الزمان ويقوى بهم الايمان» نهج البلاغة ط، بيروت ص٥٥ من الجزء الأول بفهارس وتعليق الدكتور صبحي الصالح.

(٨) «ولو ارادوا الخروج لأعدّوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبّطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين * لو خرجوا فيكم ما زادوكم الاّ خبالا ولأوضعوا خلالكم...». (التوبة: ٤٦ــ٤٧).

هذا بالنسبة للطائفة الأولى. أما بالنسبة للطائفة الثانية التي يذكرها الامام(ع) فيتلطف القرآن الكريم في وصفهم فيقول في سياق الآيات السابقة:

«ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لايجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم * ولاعلى الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلتَ لاأجد ما أحملكم عليه تولّوا و أعينهم تفيض من الدمع حزناً ألاّ يجدوا ما ينفقون» (التوبة: ٩١ــ٩٢).

وفي سنن ابن ماجة، كتاب الجهاد، ج٢ص٩٢٣ عن الرسول(ص) انه قال لما رجع من غزوة تبوك وعند اقترابه من المدينة: «ان بالمدينة لقوماً، ما سرتم من مسير ولاقطعتم وادياً إلاّ كانوا معكم فيه» قالوا يارسول الله وهم بالمدينة؟ قال(ص): «وهم بالمدينة، حبسهم العذر».

(٩) القول لسعد بن معاذ وقد قاله جواباًللرّسول(ص) الذي استشار الأنصار في الخروج الى المشركين في معركة بدر، تجده في السيرة النبوية لابن هشام، غزوة بدر. نهاية الجزء الثاني من طبعة بيروت.

(١٠) هذا هو النص الذي ذكره الأستاذ الشهيد وما وجدناه في كتب المقاتل هو ان الامام الحسين عليه السلام جمع أصحابه وأهل بيته ليلة العاشر من المحرم وخطب فيهم، ومما قاله(ع):

«أما بعد، فاني لاأعلم أصحاباً أولى وخيراً من أصحابي، ولاأهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عني جميعاً خيراً».

(١١) جاء في كتب المقاتل ان سعيد بن عبد الله الحنفي ورجالاً آخرين أحاطوا بالامام الحسين وأصحابه أثناء إقامة الصلاة وحموهم بصدورهم حتى أتموا الصلاة» . «راجع جلاء العيون للسيد عبد الله شبرباب: نزوله(ع) في كربلاء حتى استشهاده».

(١٢) جدير بالذكر ان أبا سعد بن أبي وقاص كان من أصحاب رسول الله(ص) ومن الرماة المشهورين بين العرب بالمهارة وقد أبلى في الحروب الاسلامية بلاء حسنا وقدم خدمات جليلة للاسلام في هذا المضمار.

(١٣) جلاء العيون للسيد عبد الله شبر، ــ وقد اعتمدنا عليه في ضبط النصوص المتعلقة بواقعة الطف في المحاضرات الثلاث.

(١٤) النساء: ١٠٠

(١٥) معنى السياحة المنهي عنها هو ان يهيم الانسان على وجهه في الأرض والذهاب للجبال والمناطق النائية للتعبد والاعتزال، وفي وسائل الشيعة للحر العاملي ج ١١ ص ١٠ ان رجلاً أتى الرسول الأعظم(ص) ــ والرجل هو عثمان بن مظعون ــ قال: قلت لرسول الله(ص) ان نفسي تحدثني بالسياحة وان ألحقَ بالجبال، فقال(ص):

«يا عثمان لا تفعل، فان سياحة أمتي الغزو والجهاد». وفي مستدرك الوسائل للشيخ النوري ج٢ص٢٤٥ ــ الطبعة الحجرية:

ان رجلا اتى جبلا ليعبد الله فيه فجاء به أهله الى الرسول(ص) فنهاه عن ذلك وقال(ص):

«ان صبر المسلم في بعض مواطن الجهاد يوماً واحداً خير له من عبادة اربعين سنة».

(١٦) ولكننا لو نظرنا الى قوله هذا من الزاوية العرفانية لوجدناه يتطلع الى التخلص من عالم الماديات كي يحلق في أجواء السمو الروحاني، فهو يرمز الى عالم الماديات بسجن الاسكندر وعالم تسامي الروح بملك سليمان.

(١٧) هو أحد كبار مجتهدي الشيعة، قد عاش في قم وعاصر آية الله السيد حسين البروجردي.

(١٨) حدث مرة ان زار الامام الصادق(ع) أحد أصحابه في بيته، وكان يعيش في بيت صغير وقديم يضيق على زوجته وأطفاله وكان الامام(ع) يعرف ان لهذا الرجل سعة من المال، والاسلام يؤكد ان من سعادة المرء سعة داره، ومن يستطع ان يهيئ داراً واسعة ولم يفعل فقد ظلم عياله، الامام الصادق(ع) سأل الرجل عن سبب سكناه في هذه الدار الضيقة مع قدرته على شراء دار أكبر وأوسع لعياله، فأجاب الرجل: انه في هذه الدار ولد، وفيها ولد أبوه وجده وعاشوا، وانه لايريد ان يترك دار آبائه وأجداده. فرد الامام(ع) هذا المنطق بكل صراحة قائلا: «اذا كان أبوك وجدك أحمقين فهل تريد انت ان تدفع ثمن حمقهما؟!».

ثم أمره الامام(ع) بنقل عياله الى دار أوسع.

وفي كتاب وسائل الشيعةج٤ص٥٥٩ من الطبعة الايرانية الحديثة، عن معمر بن خلاد قال: ان أبا الحسن «الامام الكاظم(ع)» اشترى داراً وأمر مولى له أن يتحول اليها وقال(ع): ان منزلك ضيق. فقال معمر: قد أحدث هذه الدار أبي. فقال أبو الحسن(ع): إن كان أبوك أحمق فهل ينبغي ان تكون مثله...».

ــ من المترجم ــ

(١٩) يجد في الأرض سعة: أي ان الأرض واسعة غير محدودة بالمنطقة التي يعيش فيها، ومراغم من الرغام وهو التراب اللين الناعم، وارغام الأنف يعني: تعفيره بالتراب، وارغام الأنف المستحب في الصلاة معناه ان يضع المصلي أنفه ويعفره بالتراب أو بما هو من التراب.

(٢٠) وسر بلاغة البيان القرآني في سياق هذه الآيات هو ان آية المستضعفين تناقش اعذار المنحرفين بسبب فساد المجتمع وتدحضها، ولايكتفي القرآن بهدم تلك الأعذار ــ وهنا سر البلاغة القرآنية ــ بل يعطي البديل الصحيح والموقف الشرعي تجاه ذلك الوضع، فيورد آيتي الثناء على المهاجر في سبيل الله ووقوع أجره على الله، وقبلها آية توضح فوائد الهجرة وان المهاجر يجد في الأرض

مراغماً كثيراً وسعة.

(٢١) النص ضمن رسالة أمير المؤمنين الإمام علي(ع) الى واليه على البصرة عثمان بن حنيف، ج٤ص٥٩٠، ط. بيروت دار الأندلس بشرح محمد عبدة و(الرسالة: ٤٥ صبحي الصالح).

(٢٢) البقرة: ٣٠.

(٢٣) لعبد الله بن جعفر زوج العقيلة زينب ولدان أستشهدا كلاهما في واقعة الطف احدهما عون وهو من زوجته زينب(ع) والآخر من زوجة أخرى.

(٢٤) ما وجدته في نهج البلاغة هوقوله (ع): «الهجرة قائمة على حدّها الأول» (نهج البلاغة الخطبة/١٨٩. صبحي الصالح).(المصحح).